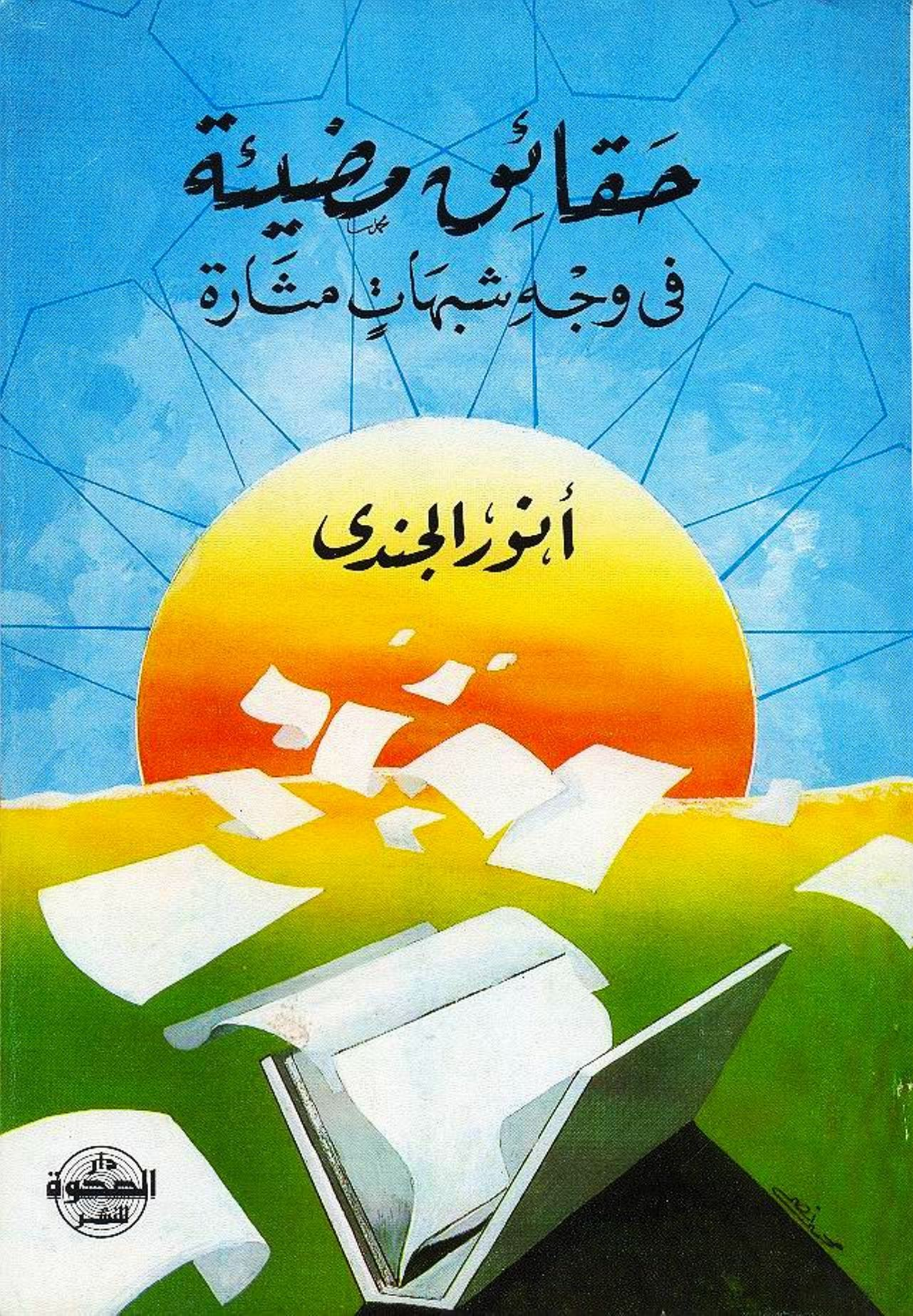


حقائق مضيئة
في وجه شبهات مثارة
أنور الجندي
دار الصحوة للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة

٧ شارع السراى بالمنيل ت : ٩٨٧٩٢٤

حدائق حلوان - مدينة الهدى ت : ٦٨٨٠٧١

١ - الإسلام: ذاتية متميزة

الإسلام: منهج وليس نظرية: منهج متكامل يستهدف تحقيق إقامة المجتمع الإنساني الرباني المصدر. وما يزال ارتباط الإسلام بمنابعه الأصيلة من القرآن والسنّة ونصه الموثق هو العامل الأول والأكبر الذي يحول دون التحريف والذي يعطيه القدرة على استعادة تشكيل نفسه بعد الأزمات وفي مواجهة التحديات.

ومن هنا فإن المناهج الحديثة القائمة على الفكر المادي تعجز عن استيعاب حقيقة أبعاده، وإن علم الأديان المقارن لا يستطيع أن يعالج الإسلام كبقية الأديان الوضعية؛ لأنه من صنع البشر، وهو فوق أهواء المذاهب والنظريات والفلسفات.

فهو يستمد أصالته من مصدره الرباني أولاً ويتجاوب في نفس الوقت مع الفطرة والعقل والعلم ولا يتعارض مع الطبيعة البشرية.

* * *

وتتفق مختلف الثقافات والعقائد على أسماء القيم الإنسانية ولكنها تختلف في تفسيرها، فالحرية والعدل والأخلاق والمعرفة والسلام والحرب، كل هذه المفاهيم تجد لها في كل فكر مفهوماً متميزاً، وتتميز نظرة الإسلام لهذه القيم بأنها نظرة جامعة، قائمة على اعتبار أن الإنسان روح وجسد، وعلى أساس جامع بين العقل والقلب، والدنيا والآخرة، والدين والعلم.

وكذلك بنى الإسلام شخصية جديدة تختلف عن الشخصية التي كانت تعيش في العالم من خلال مفاهيم الفلسفات القيصرية والوثنية وأنشأ الأمة المختارة بالتوحيد والإيمان.

وإن أبرز مظاهر أصالة الإسلام إنما تتمثل في أنه يرفض كل عنصر غريب عليه، ومن هنا تخطئ النظرية التي تقول بتطوير الإسلام أو تلقيح الإسلام ..

فالإسلام ذاتية متميزة لها من عوامل الثبات ما يكفل لها استمرار العطاء على مدى العصور والبيئات مع سماحة التغيير في الفروع ..

وله ذاتية ذات الطابع الخاص الذي يستطيع امتصاص كل ما يزيده قوة، دون أن يخرجه عن أصالته.

* * *

عقيدة الإسلام تمتاز عن العقائد المختلفة أنها تجمع بين نور العقل وأشواق القلب. فهي عقيدة تخاطب العقل بالدليل والبرهان وتخاطب القلب بالوجدان والإيمان، وهي إلى ذلك كل لا يتجزأ؛ لأن العقل والقلب ليسا إلا جهازاً واحداً.

* * *

إن القول بأن كل دين قابل للتطور وملائمة العصور فكرة علمانية مصدرها الدين البشري الذي صنعه الإنسان والذي يعجز عن العطاء لتغيير الزمن والبيئة.

أما الإسلام فإنه منهج ربّاني، مبادؤه القطعية أو الأساسية في الشريعة لاتقبل التطور، كأداء الأمانات والحقوق إلى أصحابها والتزام العدالة في القضاء والشهادة، والتراضي في العقود وقمع الإجرام وسد الذرائع، والمسئولية الشخصية.

* * *

لا يحتقر الإسلام الأمور الدنيوية ولكنه يواجهها بعيداً عن النفعية والرهبانية وهو نظام دنيوي أخروي، في آن واحد، لا ينفصل فيه الدين عن الدنيا ولا المجتمع عن الشريعة وقد حل الإسلام المشكلتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم كله الأولى: الأخوة والعدل الاجتماعي ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ فهذه أجمل مبادئ العدل الاجتماعي. والثانية فرض الزكاة على كل ذي مال وخول للفقراء أخذها كحق لهم وليس كصدقة.

وبنى القرآن التوازن في كيان الإنسان بالجمع بين العقل والروح وشدد بالنهي عن إفساد الفطرة بالتعاليم الضارة ونبه النفوس إلى ضرر التقليد الأعمى للآباء والقادة وأمر بتقديم الدليل المقنع على كل عقيدة يتقدم بها دا ع لنحلة.

* * *

ومنذ ظهر الإسلام وكل حدث في العالم قد ارتبط به على نحو من الأنحاء .. وقد أثبت الإسلام صلابته واستقلاليته وقدرته على البقاء .. فإنه في كل أزمة دخلها استطاع أن يخرج منها قوياً منتصراً، لم يسقط ولم ينهار ولم تفسد مقوماته وظل محتفظاً بتميزه الخاص في مواجهة الغزو ..

والإسلام للمسلمين عقيدة وثقافة ولغير المسلمين نظام اجتماعي .. فهو ليس عقيدة أخروية فحسب، ولا أخلاق مجردة.

وقد عني الإسلام بوضع تعاليمه السياسية والاقتصادية والأخلاقية في صبغة كلية مرنة وأصول عامة، ثم أطلق لكل مجتمع حرية البناء عليها والتفصيل والتفريع منها في ضوء تطورات العصر واختلافات البيئة.

والفارق بين الإسلام والأديان الأخرى أن الإسلام هو الذي صنع المجتمع الإسلامي .. بينما صنعت المجتمعات الأخرى أنظمتها.

وقيم الإسلام تتساند وتتفاعل في تنظيم المجتمع فلا يصح تجزئتها أو تفتيتها أو الأخذ بفرع منها دون الآخر، فإن كل فرع منها يؤثر في الآخر ويتأثر به. فبغير التعاليم الأخلاقية يختل النظام الاقتصادي فيما يدعو إليه من تعاون وتكامل.

وهذا فارق عميق بين عالم الإسلام وعالم الغرب الذي يفصل بين القيم.

* * *

والإسلام لم يأت من العبادات إلا ما يفيد الشخص في روحه وجسده .. ولم يغمط حق الجسد ولم ينكر مقتضيات المادة بل اعترف بميول الإنسان وعواطفه

ونظمها له .. ولم يحجر الإسلام على العقل بل جعل له الحكم في الأمور، ولم يبطل حرية البحث بل أطلقها، وجعل السلطان للحجة والبرهان.

وليس في الإسلام سر ولا تناقض، ولا ما يصادم العقل أو الفطرة أو الذوق.

وقرر الإسلام أن للوجود الإنساني سنناً لا تتبدل ولا تتحول ولا تزال عاملة على مقتضى نظامها المقرر لها.

والإسلام لا يعارض التقدم بل يدفع إليه دفعاً .. فقد دعا إلى النظر في ملكوت السموات ودعا إلى العلم .. وحمل على الجهل والخرافة والكهانة والسحر ووضع قانون ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ وكفل لغير المسلمين حرية العقائد وحماية الأموال والأعراض والتسامح مع الأخوة والتعاون.

وقد أثبت القرآن أن للاجتماع نواميس ثابتة قبل أن يتخيلها أعلم أهل الأرض تخيلاً ﴿ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْل وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً ﴾ وقرر أن الجماعات كالأحياء لها آجال لا تستطيع أن تتعداها وهذا ما هدى إليه علم الاجتماع.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ ..

والعلم في مفهوم الإسلام يزكو بالإنفاق ويعاقب المسلم على كتمان العلم .. وقد أمر الإسلام بتعمير الأرض والتنافس في الصنائع والفنون المختلفة.

وإذا كانت المسيحية ديناً فالإسلام دين وشرع ..

وإذا كانت المسيحية تعطي ما لقيصر لقيصر وما لله لله، فالإسلام يجعل الكل لله تبارك وتعالى.

وقد فتح الإسلام للناس باب الاجتهاد في تفهم الحقائق فلم يقصرها على طائفة من الناس. ولم يخول الإسلام طائفة من الأمة حق السيطرة على الأفراد في الاعتقادات والمعاملات بل قرر أن كل امرئ بما كسب رهين.

فالإسلام يرفض الوسيط بين الله والناس، ولا يفرض واجبات تزيد عن الطاقة، ولا يرضى بالإسراف أو غل اليد في الإنفاق.

ولقد ناط الإسلام بكل إنسان تبعة أعماله ولم يجعله مسئولاً عن أخطاء أحد من قبل ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَة ﴾ .

وإن الإيمان بالله هو الذي جنب المعارف الإسلامية من الانقسام إلى دينية وعقلية.

ولعل أقوى أسباب تقدم المسلمين في العصر الأول إيمانهم بالحقيقة التي تقول: اطلب الموت توهب لك الحياة .. فالمسلم يعتز بإيمانه بالله ولا يخضع لغير سلطانه، ويأنف أن يكون عبداً لإنسان مثله.

والإسلام يصنع الرجل المثالي الذي لا يقهر ولا يغلب .. وسر ذلك هو إيمانه بالله واحداً لا شريك له والأمر كله بيده. ومن شأن هذا الإيمان أن يقدم الإنسان روحه خالصة في سبيل الله .

وفي هذا يقول (ولفرد كانتول سميث):

«ما من دين استطاع أن يوحي إلى المتدين به شعوراً بالعزة كالشعور الذي يخامر المسلم من غير تكلف ولا اصطناع .. وإن الغربي لا يمكن أن يفهم الإسلام حق الفهم إلا إذا أدرك أنه أسلوب حياة تصطبغ به معيشة المسلم ظاهراً وباطناً .. وليس مجرد أفكار وعقائد يناقشها بفكره».

٣- حول مفاهيم القرآن الكريم

«ما من نبي من الأنبياء إلا أوتي من الآيات ما على مثله آمن جميع البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» [حديث شريف] ..

ليس أعظم من منهج القرآن الذي حرر الإنسانية من سذاجة التفسير الكنسي وجفاف المنطق العلمي.

فالوحي الإلهي يقدم الأسلوب والمنهج، وكلاهما قائمان على الفطرة، متقبلة لأشواق النفس والروح، وليس هناك أسلوب غيره يمنح هذه الهبة العظمى، يملأ القلب بالسكينة والطمأنينة ﴿ ألا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوب ﴾ .

خاطب القرآن الكريم: الكينونة البشرية، والروح الإنسانية، وحرر الإنسان من سلطان الكهنوت وعبودية الإنسان والوثنية.

* * *

كانت معجزة القرآن: معجزة بيان وفكر وذكر وأصالة (ميراث الأنبياء) فأكبر ما أعطي الإسلام الفكر والذكر (معرفة قدرة الله واقتدارها قدرها .. والبيان والارتفاع فوق طفولة البشرية بالنظرة الشاملة ذات الأبعاد التي ترتبط بالأزل والأبد، وبالدنيا والآخرة، وتستمد نقطة انطلاقها من الله تبارك وتعالى ثم تعود إليه بعد إتمام الجولة).

* * *

إن تحرك الفكر الإسلامي إنما يجري في نطاق القرآن الكريم فإذا خرج عنه وقع الحرج ولا يرفع الحرج حتى يعود إليه بفعل قوة التصحيح القائمة في أعماقه، ولقد كان (التأويل) من أخطر الأسلحة التي استعملت لتفسير النصوص تفسيراً

يخرجها عن مدلولاتها الأصلية إلى مفاهيم منحرفة.

ولقد حذر القرآن المسلمين من هذا الخطر حتى لا يخرج المسلمون عن أصول دينهم الجامعة الواضحة.

وتأثير القرآن في المسلمين لا ينقطع، وفي العرب لا يتوقف، لأنه يتناول المنهج الاجتماعي، والسياسي والتربوي، والقانوني لحياتهم الفردية والاجتماعية.

قدم القرآن الكريم عدداً من القوانين والسنن في أمور المجتمعات والحضارات وقرر ثبات السنن الإلهية وحتميتها وعدم تخلفها.

والسنن تشمل القوانين الطبيعية والكونية في حين يستعملها القرآن الكريم خاصة في سنن التاريخ في ثلاث مواضع أساسية:

(١) سنن الله في إهلاك المكذبين.

(٢) سنّة الله في النصر.

(٣) سنّة الله في التمكين للرسل ونصرهم بعد اليأس.

وهذا يعني أن القرآن الكريم يقيم للتاريخ اعتباراً كبيراً فهو حصيلة التجارب الإنسانية الطويلة التي ينبغي أن توجه إليها عناية الإنسان للاستفادة والعبر واكتشاف السنن التي تحكم تصرفات الناس وسير التاريخ خلال الزمن الطويل.

﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً ﴾ ..

* * *

أشار القرآن الكريم إلى الإرادة الحرة للإنسان في ثلاثة وستين موضعاً .. كذلك فقد وضع القرآن المسلم بين حدين: هما الوعد والوعيد .. كما جعل من إرادة الإنسان المحرك الجوهري للتاريخ الإنساني.

٣- إسلام القرآن

إن المسلمين في حاجة إلى أن يعرفوا الفارق العميق بين إسلام القرآن وإسلام الفرق، والمبتدعين والسلبيين.

إسلام القرآن الذي يحث على الإعداد الإنساني لهذه الحياة القائم على الذاتية وعدم إلغاء الشخصية الفردية.

* * *

ليس الإسلام مذهباً ولا نظرية ولا ثورة ولا يجوز للكاتب المسلم أن يدخل الإسلام في مقارنة مع الثورات العديدة التي قام بها الإنسان على مر التاريخ.

* * *

إسم الإسلام لا يرتبط بالزمن (زمن معين) ولا بالمكان (مكان معين) ولا بالعنصر (جنس معين) ولا بالشخص (فرد معين) وإنما هو مطلق عام.

* * *

يمكن تعريف الإسلام بأنه إعادة لصياغة الإنسان ووضعه في مكانه الصحيح من الكون وإعادته إلى فطرته وطريقه المرسوم لكي يعطي كل ما عنده ويعبر عن شتى طاقاته ويسهم في إعمار الأرض بوصفه مستخلف مسئول أمام الله تبارك وتعالى.

* * *

لقد كانت رسالة الإسلام أعمق حركة من حركات التحرير والتجديد التي عرفها تاريخ الشعوب العربية والإسلامية؛ لأنها بادرت منذ اللحظة الأولى إلى تحرير

الإنسان من ربقة الوثنية والتعدد والطاغوت وكل سلطان مارسته العقائد البدائية على المجتمعات القديمة واستقرت مقاليده في طبقة الكهنوت.

وأعلنت مساواة الأجناس البشرية أمام العدل الإلهي وأزالت ضروب التباعد بين الشعوب فلم يقو عرش كسرى أو قيصر على صد تيار التحرر الذي تدفق من جزيرة العرب وتحطمت الطبقة الساسانية الفارسية على صخرة المساواة الإسلامية وانجلى الاستبداد البيزنطي عن سواحل البحر الأبيض المتوسط.

* * *

إن الإنسان الإسلامي على خلاف الإنسان المسيحي لا ينوء تحت وطأة الخطيئة الأصلية التي تحكم عليه وعلى نفسه بالسوء والفساد.

* * *

يقرر الإسلام ثلاث عقائد أساسية:

عقيدة التوحيد – عقيدة الرسالة – عقيدة البعث.

ويقرر أن الحياة بطبيعتها ثنائية تقوم على التوازن بين المادة والروح..

فإذا طغت إحداهما على الأخرى اضطربت وانحرفت ولا استقامة لها إلا إذا استعادت التوازن أو عادت إليه والقلق الذي يشكو منه الكثيرون لا سبب له إلا فقدان هذا التوازن .. وحياة كل منها في عبارة موجزة: «التحرك بين المادة والروح سعياً إلى إيجاد هذا التوازن».

فالحياة محكومة بنواميس ثابتة تسيرها قوة علوية .. والتوازن يحفظها من التفكك أو الانهيار، هذا التوازن لا يتحقق بغير هذه النواميس الثابتة.

نحن ذرات في هذا الكون العظيم الهائل السائر في طريق بتوازن تفرضه القوة العليا، كل ذرة محكومة بنواميس ثابتة وليس أحد يستطيع أن يخرق هذه النواميس غير الله تبارك وتعالى.

كان المثل الأعلى عند الإغريق هو أن يجعل الدولة نصب عينيه .. أما المثل الأعلى الإسلامي فهو أن يجعل عبادة الله مطمح نظره.

* * *

يرفض الإسلام المغالاة في المحافظة .. وفي التجديد، فكلاهما يخرجه عن الفطرة وقوانين الحياة الطبيعية التي تجمع بين القديم والجديد والماضي والحاضر، ويقرر الإسلام التوازن بينهما.

الحرية في مفهوم الإسلام تقوم على التحرر من قيد الجهل والخرافة والتقليد.

* * *

إنما ينتصر المسلمون بمعصية عدوهم لله .. فإذا استوى المسلمون وغيرهم في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة.

* * *

هناك مناهج ثلاثة تختلف عن منهج القرآن:

منهج الكلام والفلسفة ، المنهج العلمي الغربي ، منهج التصوف الفلسفي.

* * *

وضع منهج الإسلام على أساس طلب الغلبة والشوكة والعزة والعلم ورفض كل قانون يخالف شريعته ونبذ كل سلطة لا يكون القائم بها صاحب الولاية على تنفيذ أحكامه، فالناظر في أصول هذه الديانة ومن يقرأ سورة من كتابها المنزل يحكم حكماً لا ريبة فيه بأن المعتقدين بها لابد أن يكونوا أول أمة حربية في العالم وأن يسبقوا جميع الأمم إلى اختراع الآلات الحربية وإتقان العلوم العسكرية، والتبحر فيما يلزمها من الفنون كالطبيعة والكيمياء وحمل الأثقال والهندسة (محمد عبده).

* * *

تعاليم الإسلام ليست حلولاً للمشاكل بقدر ما هي وقاية من المشاكل.

* * *

قرر الإسلام الرجوع إلى الحق: «ولا يمنعنك قضاء قضيته بالأمس هديت فيه إلى رشدك أن ترجع فيه إلى الحق .. فإن الحق قديم والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل».

* * *

إن الإسلام روح الأمة وروح الأمة أعظم من روح العصر .. وما روح العصر إلا طائفة من السنن تركها على الزمن أناس مصلحون أو مفسدون.

لقد أخطأ الغربيون عندما تصوروا الإسلام دين عبادة، وجهلوا الحقيقة التي تقرر أن الإسلام حركة اجتماعية، جاء الدين جانباً من جوانبها.

* * *

إن الإسلام كما نص القرآن الكريم ليس بدين جديد، ولكنه الدين الأول الذي أوحاه الله إلى المرسلين الأولين، فإن محمداً ﷺ إنما أرسل ليصحح الخطأ الذي طرأ على الأديان والتحريف الذي أصاب الدين الأصلي الذي أرسل الله به المرسلين، والذي أصابه التحريف نتيجة تأويلات نصوص الكتب المقدسة التي خرجت بها عن أصولها، كذلك هناك مانسي أصحاب الأديان وما حرفوا عن الأصل.

* * *

حرم الإسلام التفاضل بالأجناس والأنساب والطبقات وأنكر العصبية وجعل قيمة الإيمان أعلى القيم في الترابط وفي التفاضل.

* * *

الوسطية الإسلامية هي وسطيات ثلاث:

(١) وسطية إقليمية جغرافية، بالنسبة لموقع الإسلام من العالم.

(٢) وسطية ثقافية وحضارية وتجارية وسياسية.

(٣) وسطية سلوكية قائمة على التعادل أو التوازن الاجتماعي بين الفرد والمجتمع ، وبين المادة والروح، والدين والدولة ، والدنيا والآخرة.

* * *

٤- حول مفهوم الإسلام والأديان

(دين الله واحد وشرائع الأنبياء مختلفة) ..

تلك حقيقة جديرة بأن نتدبرها ونفقهها، حتى لا تخدعنا كلمات المستشرقين والمبشرين، الذين يقولون إن في القرآن تشابهاً مما ورد في التوراة والإنجيل؛ ذلك لأن مصدر الدين واحد وإن هذه الكتب في متنزلها كانت من عند الله ثم لم يحفظ أهلها نصوصها سليمة من التحريف، ومع ذلك فقد بقيت خطوطهاعامة قائمة.

جاءت الأديان السماوية قبل الإسلام لبيئة معينة أو عصر معين، ومع مرور القرون والأعصار .. ولما تقتضيه طبيعة ترقي الإنسان، كان لابد من نسخ تلك الأديان واحداً بعد آخر لتتلائم مع عقلية الإنسان المترقية .. وهي في أساسها جميعاً دعوة للتوحيد، غير أن هذه الأديان التي يسلم بعضها إلى بعض، وتتعهد بأن تؤمن بالدين الخاتم متى جاء لم تلبث أن تحولت إلى قوميات وانحرفت عن طريقها المرسوم الذي يقتضي منها أن تسلم نفسها لما بعدها .. فرفضت اليهودية المسيحية، ورفضت المسيحية الإسلام.

* * *

إن القول بالتثليث والتعدد، عقيدة يبقى العقل حيالها حائراً .. ولا يستطيع النفاذ إليها وهو أمر لا يتصوره الخاطر .. وقد وقفت حجر عثرة لدى العقول وحالت كثيراً دون اعتناقها، أو عن استمرار من أحد على القول بها، وعلى العكس من ذلك جاءت عقيدة الإسلام مطابقة للفطرة والعلم، لأنها تقوم على التوحيد الخالص.

* * *

فشلت التجربة مع أبناء إسرائيل فنقل الله الملك والنبوة إلى أبناء إسماعيل وكشف عن أن بني إسرائيل عجزوا عن حمل الأمانة وأفسدوا في الأرض.

وأعطى الله تبارك وتعالى الرسالة للعرب وكلفهم بأمرين:

(١) القيام على أمر الله بالرحمة والعدل في الخلق.

(٢) تأييد الحق، وبذل النفس والمال في سبيل إعلاء كلمة الله..

وسيظل المسلمون هم حملة الأمانة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. ولا عبرة بأن أمماً الآن قد استعلت على المسلمين واحتلت بلادهم .. فإن ذلك إنما وقع بعد أن تركز الإسلام وقوى ومضى عليه ألف عام .. وهذا وضع مؤقت حادث سيتغلب عليه المسلمون ولن ينال منهم إلا بقدر ما يعطيه التحدي على المواجهة مرة أخرى.

* * *

إن فكرة حرية العقيدة لها في الإسلام مفهوم يختلف عن المفهوم الغربي تماماً. فما دام الإنسان قد ارتضى الإسلام ديناً فإنه أصبح ملتزماً به، لا يخرج عنه، ولا يجوز له أن يدعو إلى مفهوم يختلف معه تحت دعوى حرية العقيدة.

ومعنى هذا أنه ليس من حق الإنسان إذا أسلم وأعلن إسلامه أن يبدل عقيدته.

وهناك من يلتمس من فكرة حرية العقيدة الدفاع عن حق المرتدين من الملحدين والماركسيين والبهائيين وغيرهم في حرية النشاط العلني في الدعوة إلى أفكار مضادة للإسلام .. وأن ما جاء في الآية الكريمة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا.. ﴾ فقد كان بالنسبة لما هو قبل البعثة المحمدية أما فيما بعدها فقد تحدد شكل الإيمان تحديداً نهائياً.

* * *

٥- تكامل مفهوم المعرفة الإسلامية

وسّع الإسلام أفق المعرفة فلم يجعله قاصراً على المرئيات وحدها، ولكنه جعله جامعاً بين ما يوجد في عالم الشهادة وما يوجد في عالم الغيب وجعل مصادر المعرفة في عالم الشهادة: السمع والبصر والتفكير (الفؤاد) .. وفي عالم الغيب النبوة والوحي.

ولا يرى الإسلام في مفهوم الإيمان مفهوماً مضاداً لمفهوم المعرفة كما هو الحال في الأديان الأخرى، ويرفض الإسلام الاقتصار على مفهوم المعرفة القائم على الحس والتجربة وحدهما، بل يضيف إليه علماً آخر جاء به النبي ﷺ عن طريق الوحي وسجله القرآن وفيه كل ما يتصل بعالم الغيب والآخرة والجزاء وجعل الإيمان بالغيب شرطاً أساسياً من شروط تمام الإسلام.

وبذلك أقام الإسلام منهجاً جديداً للمعرفة ومتكاملاً على أساس ترابط الوجدان والفكر، والعالم المحسوس وعالم الغيب، والوحي والعقل.

* * *

تقوم نظرية المعرفة عند التجريبيين على الحس، وعند التقليديين على العقل، وعند الصوفية على الذوق أو الحدس.

غير أن القرآن وضع أساس المعرفة واستوعب طرق المعرفة جميعاً، وجعل منها كلاً متكاملاً غير قابل للتمزق، وضع القرآن أساس المعرفة على أساس الكم والكيف والمادة والروح، والغاية والسبب، وربط القرآن بين الحواس والعقل والوجدان، ووضع أهم القواعد التي تحفظ العقل من الزيغ، وهو عدم تجاوز الحد، وأن الغيب فوق طاقة العقل ومقدرته، كما دعا إلى التقدير والتقرير، وعدم التعجل في الحصول على النتائج، قبل استكمال البحث والموازنة والاستقراء، ودعا إلى

التخصص قبل البحث وعدم المكابرة، والعناد، ودعا إلى المواجهة والمعاودة والاستمساك بالحق والبعد عن الغرور والجهر بالحق والدفاع عنه.

* * *

وأبرز مظاهر العقل الإسلامي تتمثل في تكامله وواقعيته الصادقة .. أما العقل الأوروبي فإنه لا يستطيع أن ينظر نظرة كاملة للأبعاد المختلفة للأمور ويقصر نفسه على ناحية واحدة.

فالإسلام يمثل النظرة المتكاملة في أبعادها الروحية والمادية والعقلية، وترابط الخلق مع العقيدة والعلم مع الدين، ويربط الإسلام بين الأرض والسماء والمطلق والنسبي والزمني والروحي واللانهائي والمحدود .. ويربط بين فناء الدنيا وخلود الآخرة.

ويقرر الإسلام أن الدائرة لا تتم إلا بالتقاء القوسين: الروح والمادة، والفرد والجماعة، والعقل والقلب، كما تتم الدائرة الكهربائية بالسالب والموجب معاً في وقت واحد، وإن بدا في الظاهر أنهما متضادان حيث يخرج الضوء وتظهر الطاقة، إن التقاء السالب والموجب ليس تضاداً ولكنه تكامل، وليس التقائهما يحدث الصراع أو الصدام بل على العكس يكمل دائرة التكامل.

وهذا هو الفارق الواسع العميق بين الفكر الغربي والإسلام، ومن هذا التكامل تنبع نظرة المسلم إلى الحياة وهي نظرة تحمل مفاهيم الانسجام والتوافق بينه وبين الإنسان والطبيعة، لأنه يعبد إلهاً واحداً هو الله تبارك وتعالى خالق كل شيء، ومن ثم أصبح المسلم بهذا الفهم محرراً من العقبات والقيود، متعاطفاً في حركته مع حركة الوجود كله يمارس وجوده في تعاطف وتعاون بين عناصر هذا الوجود. وهذه النظرة تختلف عن نظرة الإنسان في الغرب إلى الحياة وهي نظرة قائمة على الصراع مع الطبيعة والمجتمع قوامها الشك واليأس.

* * *

هل يقر الإسلام مفهوم الجبرية التي تقول بها الفلسفات الحديثة. إن دعوى الجبرية تستهدف أن يسلب من الإنسان حرية الإرادة والاختيار، حتى تجعل المسئولية على المجتمع، وهذا مفهوم لا يقره الإسلام، والواقع أن حرية الإرادة في الإنسان هي منطلقه الحقيقي ومصدر مسئوليته في الآخرة، ولقد حاول التغريب تجديد هذه الأفكار في محيط الإسلام وتصدى الشاعر محمد إقبال لذلك فقال:

إن الذات الإنسانية في صراعها مع العالم الطبيعي يمكنها أن تبلغ منزلة الاختيار إذا هي قهرت كل الصعاب، وإن الذات نفسها فيها اختيار وجبر ولكنها إذا قاربت الذات المطلقة وهي الله تبارك وتعالى نالت الحرية كاملة والحياة جهاد لتحصيل الاختيار ومقصد الذات أن تبلغ الاختيار بجهادها.

وقد حاول بعض المستشرقين الادعاء بأن بعض آيات القرآن تحمل مفهوم الجبرية ولكن ذلك كله كان باطلاً.

فإن مفهوم الإسلام كان واضحاً جلياً في أن الله تبارك وتعالى وحده هو الخالق وإليه ينسب خلق الأشياء من العدم، أما العقل والصنع والعمل فقد نسب إلى الإنسان في القرآن والإنسان يتصرف وسطاً بين جبر واختيار، وقد دعا القرآن الإنسان إلى تسخير ما خلق الله من مادة في هذا الكون. والخلق مجبورون في كيفية خلقهم «اللون، الحجم، العطاء المادي» ومجبورون في مواجهة الأحداث كالموت والزلازل والآلام والأحزان ولكن الخلق ليسوا مجبورين بل مختارين في أمر السعي في الحياة إلى العلم والقوة والغنى عن طريق العمل والكسب، وقد دعا الله تبارك وتعالى الإنسان إلى العمل وتغيير واقعه ﴿ قُلِ اعْمَلُوا ﴾ ﴿ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ كما دعا إلى العلم والفهم والنظر والفكر والتأمل وقد حرضه الحق تبارك وتعالى على مغالبة الطبيعة، كذلك فقد حرر الإسلام المسلم من الشعور بالوضاعة والدنس الناشئ من عقائد الخطيئة الأولى وغيرها.

* * *

كذلك فإن الإسلام يقرر أن (الصدفة) ممتنعة وأن أمور الحياة تتم بتقدير الله تبارك وتعالى ولا شيء يفلت من الرقابة والإحكام ﴿ ألا لَهُ الْخَلْقُ وَالأمْرُ ﴾ ذلك أن القول بالصدفة مما لا يقبله العقل؛ لأن الصدفة لو خلقت رجلاً فرداً فليس من المعقول أن تخلق له أنثى لها صفاتها الخاصة بحيث تتحد معه في الجنس وتختلف معه في اللون حتى إذا التقيا ذلك اللقاء الخاص وجد ذلك النسل.

وهل هناك صدفة في هذا الكون العظيم المنظم الدقيق ليله ونهاره، شمسه وقمره، صيفه وشتائه، وتوقيته العجيب الدقيق المستمر ﴿ إنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمٰوَاتِ وَالأرْضَ أن تَزُولا ﴾ .

* * *

كذلك فإن مفهوم القضاء والقدر لا يؤخذ من كتب الصوفية المتأخرين ولا من كتب المعتزلة وعلماء الكلام، وإنما يؤخذ من القرآن نفسه، وليس صحيحاً بأن المسلمين قبلوا عقيدة الجبر واستسلموا لكل ما هو مقدر عليهم فكان ذلك سبب عجزهم عن التقدم، وهذه آراء ظهرت في عصور الضعف.

* * *

ولابد أن نعرض هنا للدعوة المثارة إلى ما يسمى العقلانية .. ونقول: إن الدعوة إلى العقل عرفها المسلمون صادرة من القرآن الكريم نفسه، فالعقل مصدر التكليف، ولكن الخطر هو في المغالاة في الدعوة إلى العقلانية ومحاولة فرضها أسلوباً وحيداً للحياة والتفكير بحيث تنكر المعرفة كل الأساليب والوسائل الأخرى.

ذلك لأن نظرة الإسلام نظرة جامعة بين العقل والوجدان، أما اندفاع الغرب في العصر الحديث إلى التحيز للعقلانية فإن ذلك إنما جاء كرد فعل عن مرحلة سابقة كان الغرب فيها قد اشتط في التعامل مع الرهبانية والعاطفة والحدس، وقد جاءت موجة العقلانية نتيجة لظهور الكشوف الخاصة بالقوانين الطبيعية ولكنها مع الأسف أصبحت منطلقاً للنظرية المادية، ولكن الإسلام يؤمن بالمفهوم الجامع:

القائم على التوازن بين الحس والعقل وبين الروح والمادة .. وقد عرف المسلمون من قبل مفهوم الحس والعقل ومفهوم التجربة ولكنهم لم يذهبوا مذهب الغرب في إعلاء العلم أو تقديس العقل.

إن مفهوم عقلانية المعرفة تدعو إلى التحرر من التعصب ومن التقليد ومن الوثنية والخرافة، ولكنه لا يدعو لإنكار جوانب أخرى من المعنويات والروحية وعالم الغيب ومفهوم الوحي.

ويجب أن لا تحجب العاطفة أو الوجدان أو الروح ذلك الجانب الأساسي في الإنسان .. وعلى الوجدان والعقل معاً أن يتحركان في إطار الوحي.. والعقل قادر على العطاء في المجالات العلمية إذا تحرك في ضوء من نور الوحي.

ومن حق العقل أن يجتهد ما شاء الاجتهاد فيما يعرض له من أمور تحتاج إلى الفهم، غير أنه ليس من قدرته ولا من حقه أن يستقل في حركته تلك وإنما عليه أن يهتدي فيها بهدى الله تبارك وتعالى.

* * *

وبالجملة فقد وضع القرآن أساس قانون المعرفة واستوعب طرق وسائل المعرفة جميعها وجعل منها كلاً متكاملاً غير قابل للتمزق.

وتقوم نظرية المعرفة في القرآن على أساس التعادل والتكامل بين الكم والكيف والمادة والروح والغاية والسبب .. وقد ربط القرآن بين الحواس والعقل والوجدان .. فالقرآن يدعو إلى استعمال الحواس وخاصة السمع والبصر ولكن الحواس لا تغني وحدها ما لم نستعين بالبصيرة الملهمة والعقل الراجح.

* * *

٦- حول مفاهيم النظام السياسي الإسلامي

إن المجتمع الإسلامي لم يولد تحت ضغط ظروف جغرافية بل تلبية لنداء فكرة التوحيد الخالص، ولذلك فإن المسلم لا يستطيع أن يندمج في أي رابطة ما تقدم له أي أخوة غير الأخوة الإسلامية.

* *أخوة إسلامية:*

إن الإسلام هو الذي منح شعوبه تلك القوة التي صارعت قوة الأكاسرة والقياصرة ودول الحروب الصليبية والاستعمار، ولقد حمت قوة الإسلام مجتمعها بمبادئها التي تدين بها ولم تعتمد مبادئ خصومها.

لقد وضع الإسلام للناس منهجاً كاملاً للحياة ولم يفرض هذا المنهج فرضاً على الأمم المفتوحة بل ترك للناس أن يأخذوا به إذا أرادوا وهم قد أخذوه مقتنعين بصلاحيته دون إكراه.

ومنذ أن شكل الإسلام لونه المميز على خريطة العالم: عالم مستقل له طابعه المقرر ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ ومنهجه المتجدد بالتوحيد والإيمان والأخلاق والشريعة، ومنذ ذلك اليوم أصبح للمسلمين قبلتهم الواحدة التي لم يحيدوا عنها تهوي إليها أفئدتهم وقلوبهم بالإيمان والفكر والنظر ولم يكن لهم بعدها منذ ذلك اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قبلة أخرى، وما تزال الكعبة المشرفة وستظل مركز الدائرة في أرض الإسلام.

* * *

قبل أن يمر قرن واحد على الهجرة كان الإسلام قد عم العالم القديم المعروف في أسيا وأفريقيا وبعض أوروبا ديناً ولغة ودولة وحضارة.

إن الامبراطورية الرومانية قد نشأت في مدى عشرة قرون ثم سقطت في أثناء عدد قليل من السنين ثم نسيت لغتها وانقرض دينها وضاعت حضارتها، أما الإسلام فقد ذهبت دولته السياسية ولكن الإسلام بقي ديناً ولغة وحضارة إلى اليوم برغم كل مقاومة قامت في وجهه.

* * *

رفض النظام الإسلامي الأنظمة السياسية السابقة ووجه هجومه إلى النظام القيصري والكسروي وأعلن أنه لا ملك إلا لله .. ورفض الإسلام نظام كسرى وقيصر وفرعون .. ورفض عقيدة الحق الإلهي التي كانت الملوك تحكم بموجبها .. ورفض النظام الطبيعي الثابت، الطبيعة لا تخرج عن حدودها والعبيد هم العبيد.

رفض الإسلام: هذه القيصرية الرومانية البيزنطية، الكسروية، الفارسية، الفرعونية المصرية، التي تقول بأن ذات الامبراطور مقدسة إلهية فوق مستوى البشر فهو في نظر رعيته إلهاً لا يقترب الفرد من حضرته إلا ساجداً.

ولقد أخرج قادتها الخلافة من بيت النبوة حتى لا تجتمع النبوة والخلافة في شخص واحد ولا في بيت واحد، فلم يكن النظام الطبقي عمادها. إن الفئة المتميزة التي استأثرت بالقرار الحاسم في اختيار الخليفة هم المهاجرون الأولون والبدريون وعلى رأسهم العشرة المبشرون بالجنة، وكان شرف هذه الفئة نابعاً من البلاء والسبق في نشر الإسلام وتأسيس الدولة لا من نظام طبقي أو أصل عرقي أو نعرة قبلية أو ثروة كبيرة.

لقد وضع الإسلام مفهوماً للشرف يختلف عن مفهومه في الجاهلية.

* * *

يقول القاضي عبد الجبار في كتاب (تثبيت دلائل النبوة):

عندما بلغ أهل اليمن والبحرين وعمان نبأ اختيار النبي للرفيق الأعلى سألوا عن

نوع نظام الحكم وعن الرجل الذي ولي السلطة في المدينة فقالوا لعمال رسول الله:
هذا الذي بايعه الناس بعد رسول الله: ابنه أو أخوه فقيل لهم: لا، قالوا: فأقرب الناس منه. قيل فما شأنهم؟ قيل: اختاروا أخيرهم فأمّروه عليهم. قالوا: لن يزالوا بخير ما صنعوا هذا.

* * *

إذا كان الإسلام يأخذ بمبدأ الشورى فإنه ليس من صواب الرأي ما يظنه البعض من أن هذا المبدأ ينطوي على الأخذ بمبدأ (سيادة الأمة) إذ أنها غربية الأصل، إذ لا يصح القول بأن التشريع في الإسلام هو التعبير عن إرادة الأمة التي تجد غالبية أفرادها في هذا العصر مسلمين اسماً فحسب، ذلك أن التشريع في الإسلام إنما هو تعبير عن تطبيق أحكام القرآن الكريم.

* * *

٧- حقائق في النفس والالتزام الأخلاقي

إن أساس حرية الاختيار في الإسلام يقوم على الافتراض بأن الأصل في الإنسان الخير على خلاف ما تقول به النصرانية وغيرها من أن الإنسان خلق خاطئاً وخلافاً ما جاءت به التعاليم الهندوكية من أن الإنسان كان في أول أمره دنساً فهو من أجل ذلك محمول على أن يتخبط في سلسلة من التقمص نحو هدفه الأقصى من الكمال، كما يقرر القرآن أن الإنسان خلق طاهراً وخلق تاماً.

* * *

لقد أعطى الإسلام النفس المسلمة المشيئة السوية: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ فحملها المسئولية الكاملة بعد أن أنار لها الطريق وحدد لها الأمر، وجعل مسئولية الإنسان في حدود عمله.

ودعا الجسد إلى التوسط وعدم المغالاة في إشباع الغرائز وذلك في إطار تشرف على تنسيقه النفس صاحبة المسئولية بين جسد يبحث عن الإشباع الغريزي بمتطلباته البيولوجية وروح من الله ترمز إلى التسامي من خلال آفاق متجاورة للاستهلاك.

* * *

إن الإسلام يرفض بدعة (اللامنتمي) فهي دعوة الضائعين والتائهين، لأنها تستهدف الهروب من كل مسئوليات الفرد والإفلات من كل القيم وهم يسمونها (موقف) ويدعونها وجودية وتعبيراً عن الذات.

إن الشخصية الإسلامية لا تنكر الصراع الداخلي ولكنها تنجو دائماً من

التمزق والتحلل .. فهي شخصية منتمية بكل ما تحمل الكلمة، ملتزمة بكل ما احتواه فكرها وضميرها من عقيدة ربانية والمسلم الملتزم يسترخص كل شيء في سبيل الدفاع عن عقيدته.

* * *

مع الإيمان بالله تبارك وتعالى تجد النفس أمنها وسكينتها، وتجد الحماية من فصام الشخصية فليس أخطر على الفرد من توزع الفكر.

ولا يتأتى انقسام الشخصية إلا نتيجة تغليب حياة الروح بالجور على المتعة الحسية أو تغليب حياة الجسد والاسترسال مع الشهوات والإقبال على اللذات المادية.

والإسلام ينظم العلاقة بين الروح والجسد على نحو لا تقوم معه عقد نفسية أو انفصام أو تمزق.

* * *

٨- حول مفاهيم العلم في الإسلام

المسلمون هم الذين وضعوا المنهج التجريبي بشهادة بريفولت ودرابر وبيكون. وقد سبق ابن خلدون: سميث وهيجل، وسبق المعري دانتي .. وابن مسكويه سبق دارون، والطرطوشي سبق ميكافيلي.

ولقد أنكر الغرب أثر المسلمين في بناء الحضارة والعلم ثلاثمائة سنة. ولقد قدم ابن الهيثم (أرجانونا) علمياً جديداً هو منهج الاستقراء والتجربة الذي صاغه من بعد (فرنسيس بيكون) هذا المنهج الإسلامي الذي أقام طب ابن سينا ورياضيات الخوارزمي، وبصريات ابن الهيثم وكيمياء جابر.

* * *

لقد أعطى المسلمون أوروبا المنهج التجريبي الذي أحياها، فلما عادت أوروبا أعطت المسلمين المنهج الأرسطي القديم لتميتهم، فأخذ المسلمون منهج أرسطو فعزلهم عن حقيقة الإسلام التي أقامها المنهج التجريبي حين رفض منهج أرسطو ثم رفضه الأوروبيون ونقدوه بما نقده به المسلمون.

ولكن الأوربيين الذين اقتبسوا العلم الاستدلالي من المسلمين فكان سبق ارتقائهم ردوا المسلمين إلى المنهج الأرسطي ليستعينوا به على إقناعهم بكل ما يريدون من السوء بهم من حيث لا يشعرون بردهم إليه.

* * *

غير أن الإسلام يقرر أن التقدم العلمي والتكنولوجي لا يتعارض مع الإسلام ولا يغني عن الدين ولابد له من ضوابط من العقيدة والشريعة والأخلاق.

ويفرق الإسلام بين المعارف الجوهرية والمعارف غير الجوهرية التي ليس لها قيمة إلا أن تكون للزينة فقط.

* * *

إن العلم سوف يعجز عن القضاء على الدين، فقد عاش العلم والدين أجيالاً متجاورين، بل إن الحقيقة التي تبدو الآن واضحة أن العلم سوف يؤكد الدين: الدين الحق.

ليس من مهمة الدين تفسير ظواهر الكون ولكنه يضع الإطار الأخلاقي للحياة ويرسم منهج العلاقات بين الله (تبارك وتعالى) والإنسان وبين الإنسان والمجتمع والإسلام هو الذي أقام للعلم منهجه ومنطلقه من حرية البحث وصراحة التفكير والتسامح الديني وهو الذي قدم المنهج التجريبي.

ومن هنا فإن أي حديث عن الصراع بين العلم والدين فهو أمر وافد من غير أفقنا ومحيط غير محيطنا .. وهو يمثل تحديات لم يعرفها الإسلام في تاريخه ولا مجتمعه.

ويخطو العلم اليوم خطوات ثابتة نحو الإيمان بالله والاعتراف بعالم الغيب والتحرر من الفلسفات المادية.

وقد وردت مادة (العلم) في القرآن ٨٦٠ مرة وكانت أول كلمة نزلت على النبي ﷺ هي ﴿ اقرأ ﴾ وقد أقسم الله تبارك وتعالى بالقلم وما يسطرون وقد أطلقت كلمة العلم في الإسلام دون أن تختص نوعاً معيناً.

* * *

ويفرق الإسلام بين العلم التجريبي وبين ما يطلق عليه العلوم الاجتماعية والإنسانية التي لا يمكن أن تكون بمثابة علم، فالإنسان أساساً لا يخضع لقوانين المادة، لأنه مقام من روح وجسد، فليس مادة خالصة، كذلك فإن هذه المقررات التي تسمى بالعلوم الاجتماعية هي ليست قوانين حقيقية ولكنها بمثابة فروض ووجهات نظر.

فمشاعر الإنسان وعواطفه مما يصعب إخضاعها للقوانين التي أخضعت لها

إن العلم سوف يعجز عن القضاء على الدين، فقد عاش العلم والدين أجيالاً متجاورين، بل إن الحقيقة التي تبدو الآن واضحة أن العلم سوف يؤكد الدين: الدين الحق.

ليس من مهمة الدين تفسير ظواهر الكون ولكنه يضع الإطار الأخلاقي للحياة ويرسم منهج العلاقات بين الله (تبارك وتعالى) والإنسان وبين الإنسان والمجتمع والإسلام هو الذي أقام للعلم منهجه ومنطلقه من حرية البحث وصراحة التفكير والتسامح الديني وهو الذي قدم المنهج التجريبي.

ومن هنا فإن أي حديث عن الصراع بين العلم والدين فهو أمر وافد من غير أفقنا ومحيط غير محيطنا .. وهو يمثل تحديات لم يعرفها الإسلام في تاريخه ولا مجتمعه.

ويخطو العلم اليوم خطوات ثابتة نحو الإيمان بالله والاعتراف بعالم الغيب والتحرر من الفلسفات المادية.

وقد وردت مادة (العلم) في القرآن ٨٦٠ مرة وكانت أول كلمة نزلت على النبي ﷺ هي ﴿ اقرأ ﴾ وقد أقسم الله تبارك وتعالى بالقلم وما يسطرون وقد أطلقت كلمة العلم في الإسلام دون أن تختص نوعاً معيناً.

* * *

ويفرق الإسلام بين العلم التجريبي وبين ما يطلق عليه العلوم الاجتماعية والإنسانية التي لا يمكن أن تكون بمثابة علم، فالإنسان أساساً لا يخضع لقوانين المادة، لأنه مقام من روح وجسد، فليس مادة خالصة، كذلك فإن هذه المقررات التي تسمى بالعلوم الاجتماعية هي ليست قوانين حقيقية ولكنها بمثابة فروض ووجهات نظر.

فمشاعر الإنسان وعواطفه مما يصعب إخضاعها للقوانين التي أخضعت لها

٩- حول مفاهيم الإنسان

وقف الإسلام أمام (الإنسان) موقفاً مخالفاً لموقف الفلسفات الوضعية .. أقام الإسلام هذا الموقف على أساس تكريم الإنسان بوضعه موضع الاستخلاف في الأرض والنظر إليه من خلال طبيعته الأصيلة الجامعة بين الروح والجسم، والعقل والقلب، بوصفه كياناً متكاملاً وبذلك أقر رغباته المادية كلها وأباحها له دون أن يقيدها إلا بضوابط قصد بها حماية الإنسان نفسه عن الانهيار والتدمير وحتى يكون قادراً على أداء رسالته ومواجهة تحدياته دون أن يضعف أو يتحطم وجعل سعيه في الحياة مرتبطاً بالجزاء في الآخرة، وأعطاه المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي لكي يواجه العالم من منطلق الكرامة وجعل مسيرته كلها خالصة لله تبارك وتعالى.

* * *

والإنسان روح وعقل، وجسد ونفس، ولا ريب أن التفسيرات التي تتناوله من جانب واحد هو جانب الجسد وحده أو الروح وحدها، هي تفسيرات خاطئة، وكذلك تفسيره من جانب الطعام أو الجنس أو البيئة هي تفسيرات جزئية انشطارية لا تصل إلى الحقيقة التي لا تتشكل إلا من خلال منهج واحد متكامل هو منهج الإسلام الذي نظر إلى الإنسان من جميع جوانبه وربط بين مختلف القوى فيه، ووازن بينها.

والإنسان ثابت الجوهر متغير الصورة. والشريعة تمثل الجانب الثابت .. أما الجانب المتغير فيمثله الاحتكاك بين العقل والكون.

* * *

ألغى الإسلام الفكرة القديمة التي كانت تقول: إن هناك صراعاً بين الجسم

والروح، وأعلن أن الجسم والروح متكاملان، وبذلك أسقط مفهوم الرهبانية القائمة على الرياضة العنيفة وتدمير الجسد من أجل تحقيق الصفاء الروحي.

أقر الإسلام تكامل الروح والجسد ونظر إلى الإنسان نظرة متكاملة وكرمهما معاً، ودعا إلى الاهتمام بالجسم من حيث النظافة وجعل الطهارة دليل الإيمان ودعا إلى طهارة القلب وجمع بين النظافة والطهارة والزينة وربط بين الدنيا والآخرة ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ واستعاذ من الجوع والفقر وجعل دعوة المسلمين إلى العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

* * *

قرر الإسلام أن الإنسان مستخلف في الأرض، وهو مسئول ومحاسب وأن الإسلام يقوم على أساس تعاليم اجتماعية وأخلاقية تطبع الحياة والحركة في مجال الإنسان الفرد والإنسان الموجود في إطار المجتمع وقد قرر الإسلام نسباً وضوابط في مختلف جوانب الحياة وقيمها وجعل لها سلماً وأسبقيات، وخاصة في مجال العمل والمعرفة والمال والقوة والعبادة.

* * *

يعطي الإسلام أهمية كبرى للإنسان كفرد في مجتمع، ويؤكد حاجته إلى التقدم المستمر، ولذلك يحرر طاقاته الخلاقة كلها: فكرية وخلقية وعملية، لتنطلق في خدمة تقدمه كإنسان، وفي خدمة المجتمع ككل دون السماح لعائق ما أن يقف في وجهه، ولا سيما العائق الطبيعي الذي يحكم على الإنسان باعتبار الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها لا على أساس مواهبه وقدراته ومدى ما يمكن أن يقدم للمجتمع من خدمات.

* * *

تتكامل الشخصية الإنسانية في الإسلام على نحو لا تصل إليه الفلسفات فتجد

كل قوة من قواها النظرية مجالاً يتسق مع مجالات قواها الأخرى، فمن ثم لا تهدر قوة من تلك القوى ولا تتعالى على غيرها .. وهذه علاقة صدق على وحدة المصدر.

فالله تبارك وتعالى هو واضع الشريعة بمعناها الشامل للعقيدة والأخلاق والسلوك من أسس الدين فهو جل شأنه بارئ الشخصية الإنسانية وخالق نزعاتها وقواها المختلفة.

ومن مقومات الشخصية أن الإنسان مسئول عن نفسه مسئولية كاملة فلا يحاسب الإنسان عن عمل غيره، ذلك أن كل نفس بما كسبت رهينة، ومنها بذل النفس والنفيس لله إيماناً بالجزاء في الدار الآخرة وقد صاغت العقيدة الإسلامية نفوس معتنقيها متحررة من كل تبعية إلا لله تبارك وتعالى فيما أمر به وإيثار ما يطلبه الشرع لا الهوى وتطويع الحياة للدين لا تطويع الدين للحياة.

كذلك فإن المثل الأعلى للشخصية الإسلامية هو النبي محمد ﷺ الذي كان خلقه القرآن.

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ .

* * *

١٠ - حول مفاهيم النفس والروح

يختلف مفهوم الإسلام عن مفهوم النظريات الوافدة، فالنفس في القرآن تعني ذات الإنسان بكل ما فيه (وقد وردت في القرآن في ٢٩٥ موضعاً) .. إنها تعني كما يقول الأستاذ أحمد موسى سالم: اعتقاد قلبه وإرادة عقله وعمل جوارحه جملة أو تفصيلاً .. فليس هناك فصل بين النفس والجسم - في القرآن - ليس هناك فصل بين القوة الموجهة للعمل وبين الأداة المنفذة له. إن هذا الفصل موجود في المذاهب الزهدية الوضعية التي ترفض فلسفاتها مرحلة الحياة على الأرض فتفصل بتعاليمها ورياضياتها بين النفس والجسم وبين القوة والإدراك .. بينما يقوم الدين والإسلام والقرآن على حتمية وحدتهما حتى عند من يتوهمون الفصل بينهما؛ ذلك لأن الإنسان في النهاية هو فقط (عمله) الذي يخرج به من هذه الحياة المقدورة له على الأرض من أول نفس يستنشقه إلى آخر نفس.

والنفس كما سواها الله (تبارك وتعالى) في الخلق وكما صورها في القرآن الكريم هي الإنسان بذاته (عقيدة وعملاً وفكراً وجسماً) .. وبذلك فإن الصحيح هو أن تقول: إن الإنسان نفس قامت من روح الله تبارك وتعالى واهتدت بروح الله تباركوتعالى.

وليس الإنسان روح فقط (كما يدعي البعض)؛ ذلك لأن الروح هو وحده روح الله وهو وحده منه، فلا يتعدد في غيره وهو من أمره وحكمه.

وتمثل النفس في أربع مواضع:

(١) النفس: هي عقيدة الإنسان كما صورها الله تبارك وتعالى في قوله: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ ، ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ .

(٢) النفس هي عمل الإنسان وليس سواه ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ

خَيْرٍ مُحْضَراً ﴾ .

(٣) النفس هي الإنسان بذاته وصفاته (عقيدة وعملاً وأخلاقاً وفكراً وجسماً) ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾

(٤) النفس والجسم متحدين غير منفصلين وأنه لا ينبغي انفصالهما كما لا ينفصل اللفظ عن معناه واتحاد النفس والجسم يعود فيتجدد يوم البعث ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيد ﴾ السائق العمل والشهيد الجوارح.

* * *

هذه المفاهيم الإسلامية تكشف عن التباين الواضح مع مفهوم فرويد الذي فصل بين العقل الباطن والعقل الظاهر في محاولة لتمزيق وحدة النفس والجسم أو القوة والإرادة .. وهو جزء من مخطط الفكر الغربي القائم على الفصل بين القيم، وبين النظرية والتطبيق.

* * *

١١ - حول وحدة الفكر الإسلامي

أقام الإسلام وحدة ثقافة وفكر بين أهله لا وحدة عنصر، فقد غرس الإسلام مفهوم العقيدة وجعله مقدماً على كل العناصر، فالإسلام يقيم روابط المجتمع على العقيدة والإخاء بين المؤمنين .. بصرف النظر عن أجناسهم أو لغاتهم أو سابق تاريخهم .. وليس في الإسلام هيئة تتوسط بين العبد وخالقه.

إن أبرز مفاهيم الإسلام الذي انتصر به المسلمون هو أن تعاليم الإسلام وحدة متكاملة لا تصح عزلتها أو تفتيتها أو الأخذ بفرع منها دون الآخر، فكل فرع منها مؤثر في الفرع الآخر متأثر به، فقد دعا الإسلام إلى ضرورة التكامل بين تعاليمه الاجتماعية والأخلاقية والتربوية.

كذلك فقد قرر الإسلام ثلاث حقائق: وحدة الألوهية، وحدة الجنس البشري، وحدة الفكر الإنساني .. ويقرر الإسلام أن كل حضارة لا ترتكز على التوحيد والعدل والأخلاق هي حضارة زائفة.

ومن أهم ما دعا إليه الإسلام المطابقة بين الكلمة والسلوك .. والحرية في مفهوم الإسلام هي التحرر من قيد الوثنية والجهل والخرافة والتقليد.

* * *

أقام الإسلام قاعدة النظر في الأمور .. يقول الإمام ابن تيمية: «لابد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل ثم يعرف الجزئيات ولا يبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات .. فيتولد فساد عظيم.

الأصول الثلاث هي: الكتاب والسنة والإجماع..

على هذه الأصول يوزن ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مماله تعلق بالدين.

ويقصد الأعداء بإيراد الشبهة (تلبيس الحق على المسلمين) لأجل إفساد دينهم حسداً منهم أو لأغراض أخرى. وتتجلى شبهة دعوة (الضرورة) في كثير من المسائل عند كثير من الناس في حالين: الحالة النفسية فتقل الطاعة في نفوسهم وينعدم الصبر، وتجد النفس راغبة إلى ما تهواه.

فإذا ما تبينت المسألة التي وقعوا فيها واتضح أنها ليست ضرورة كما زعموا فلا تجدهم يرجعون إلى طلب الحق فيها .. ويفتقدون التمسك بالحق جحوداً أو تأخراً أو تشدداً أو تعقيداً.

* * *

١٢ - حول مفاهيم العقل والوجدان

قاعدة الإسلام الأساسية تكامل العقل والوجدان في بناء منهج المعرفة وفي بناء الإيمان، والعقل في الإسلام مناط التكليف.

وفي نفس الوقت فإن العقل يسير تحت ضوء الوحي وعلى وجهته.

ولا تناقض في الإسلام بين العقل والوحي (إن صريح المعقول لا يمكن أن يناقض صحيح المنقول) وإن العقل بدون وحي لا يستطيع أن يهتدي إلى الحق.

ولقد كان للمسلمون موقفهم من الفلسفات اليونانية عندما ترجمت .. هو موقف الحذر والدفاع عن ذاتيتهم، ولم يكن كما يدعي البعض موقف التقبل والتبعية .. وقد فصل في هذه المسألة منذ وقت طويل.

فليس صحيحاً أن هذه الفلسفات أعطت أو أضافت .. فقد كان للمسلمين قبل ترجمتها منهجهم الخاص الذي اكتمل بعد اختيار الرسول ﷺ للرفيق الأعلى.

وحضارة الإسلام لم تكن حضارة عقلانية بمفهوم الغرب أو من ثمرات فكر اليونان أو الفرس والهنود .. ولكنها حضارة قامت على منهج القرآن ﴿ قل انْظُرُوا﴾ ، ﴿ هَاتُوا بُرْهَانكُمْ ﴾ قامت على منهج التجريب وصححت أخطاء اليونان وحررت المفاهيم فجعلتها خالصة لله تبارك وتعالى، وحطمت عبودية الوثن وعبودية الإنسان .. وكان مفهوم المعرفة جامعاً بين القلب والعقل.

فليس في الإسلام ما يسمى سلطان العقل، وليس هناك ما يسمى (الإسلام الدين) ولا يمكن أن تسمى نصوص الإسلام (مأثورات) فهذه كلها كلمات وافدة وضعت لتجربة الغرب مع المسيحية.

كذلك فإن من خطأ القول: إن القرآن معجزة عقلية تتوجه إلى العقل وحده؛ لأن القرآن يتوجه إلى كل ما يملكه الإنسان من قدرات.

١٣- حول منهج الإسلام في بناء الثقافة

أولاً: الإسلام أعطى المسلم أمرين:

١- لفت نظره إلى الحركة (حركة الليل والنهار).

٢- علمه قيمة الزمن.

وعلمه أن الحقيقة لا تأتي عن طريق العقل وحده ولا عن طريق الوجدان وحده ولكن عنهما معاً، وأن التغيير لا يأتي عن طريق الصراع بل عن طريق التضحية والفداء والإيثار والبذل.

وحذره من الخلط بين التوكل والتواكل، فالتوكل إرادة وعمل .. وعلمه تكامل القديم والحديث، ودعاه إلى الجمع بين الثوابت والمتغيرات .. والإنسان يبدأ في مرحلة الجزئية ثم يدخل مرحلة التكامل .. يبدأ بالأنانية ثم يحوله الإسلام إلى الغيرية، مضحياً في سبيل الجماعة، يؤثر على نفسه، ويوقى شح نفسه، ويكون من الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس .. وعلمه أن يكون ضد هوى نفسه، ومع العدل لا مع القرابة، ومع الحق لا مع نصرة الأهل.

* * *

ثانياً: الإسلام أعطى المسلم القدرة على التعامل مع سنن الله الكونية، ودعاه إلى فهم هذه السنن وحسن استخدامها وتسخيرها والتعامل معها وعدم الارتطام بها، إن السنن التي أدار الله عليها شئون العالم هي سنن مكينة وقد أخضع الله أنبياؤه لها.

إن منطق العبودية يقتضي أن أنظر إلى أقدار الله تعالى على أن هذه الأقدار أرشد من تفكيري ومن خططي. وقد دعانا الإسلام إلى إسلام الوجه لله والاستسلام لمراد الله تعالى وأن نستريح إلى نتائجه .. ودعانا في الوقت نفسه إلى



مغالبة نواميس الكون. وتعني إرادة الله التي يجب أن يخضع لها المسلم ويطمئن إليها: أن معنى الصبر واليقين أن الأمر يحتاج إلى زمن وأن استعجال الزمن خطأ ومن قوانين الله الكونية أن أعمل وأنا موقن بنصر الله» (محمد الغزالي).

ثالثاً: أعطى الإسلام المسلمين: الحفاظ على الذاتية الخاصة من الانصهار في الحضارات والأممية: إن شغل الإسلام الشاغل لم يكن السعي في سبيل شخصية حضارية بل الرفض بالسماح لشخصية الإسلام الحضارية أن تنوب وتتلاشى في شخصية حضارية أخرى، هذا الرفض بالذات هو الذي مكن الجزائريين من الصمود في وجه الاستعمار الفرنسي، هذا الرفض هو الذي وسع للمسلمين أن يصمدوا في وجه أكثرية عددها أربعة أضعاف عددهم وأعطاهم أن يقيموا دولة جديدة منبثقة من وحي الإسلام وروحه .. وكذلك استمر سكان شبه القارة الهندية المسلمون قروناً متوالية في إصرارهم على أنهم يختلفون عن جيرانهم الهندوك.

رابعاً: الأصالة الفكرية تعني القدرة على حماية كل ما يتلائم مع روح الإسلام وترك كل ما هو دخيل لا يتلائم مع جوهرها ثم القدرة على الأخذ والانفتاح على الفكر الإنساني والتطور العلمي.

خامساً: انتصر المسلمون والعرب في كل مواجهاتهم مع الأعداء والغزاة بالمعنى الإسلامي لا بالمعنى القومي، وكل قضاياهم التي عالجوها بالمعنى الوطني والقومي قد أخفقت تماماً فإن المفهوم الإسلامي هو الذي صهر المغول في بوتقة الإسلام، في عين جالوت كانت الصيحة (وإسلاماه) وفي الحروب الصليبية، وفي كل مكان كانت جمعية العلماء والرابطة السنوسية والسلفيون والصوفية والأزهر هم قادة الجهاد والمقاومة الحقيقية.

سادساً: أعطانا الإسلام مفتاحين للتحرر من الأزمات والاحتواء هما «التغيير والإعداد» ..

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ ..

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ ..

التغيير يمتد إلى كافة الساحات وسائر المكونات .. إن تأكيد الإنسان على حركة التغيير يعني أنه يمنح الإرادة البشرية قدرتها على صياغة المصير، وفي التشبث به، واستعادته إذا أفلت وليس التغيير روحياً أو أخلاقياً أو سلوكياً فقط وإنما هو في إعادة تشكيل العقل المسلم .. فيكون قادراً على استيعاب المتغيرات وتطوير الحياة الإسلامية وحمايتها من التفكك والعدوان. والإعداد يأتي بعد التغيير .. (عماد الدين خليل) ..

* * *

١٤- في مفاهيم التاريخ الإسلامي

إن الرعب الذي زلزل كيان الأكاسرة والقياصرة وغيرهما لم يكن مصدره كثرة عدد أو عدة لدى المسلمين بقدر ما كان إظهار الاعتزاز بالله وتوثيق العرى به والاطمئنان إليه والتوكل عليه مما أغراهم بالاستشهاد وحثهم على استعجال لقائه وزهدهم في كل شيء من أجل رضاه.

* * *

لم يكن لقب «الموالي» لدى الأمويين يدل على أنهم أدنى من العرب منزلة أو أقل شأناً كما يزعم بعض المتأخرين من المؤرخين الذين يأخذون بأقوال من أساءوا إلى الدولة الأموية بعد زوالها من الشيوعيين وغيرهم. فليس بدعاً أن يلقب الأمويون غير العرب من المسلمين بالموالي، وإنما كان هذا على نهج ما قام به رسول الله ﷺ من تلقيب أهل المدينة بالأنصار بعد الهجرة .. وكلمة الموالي ترادف كلمة الأنصار، في دلالتها وأهدافها وإن اختلفت النظرة بعد ذلك، فهم لم ينظروا إلى الموالي على أنهم دون العرب جنساً أو لغة بل إخوة في الدين وأنصار في الإسلام.

* * *

إن مصدر اهتمام المستشرقين بالتاريخ الإسلامي هو دراسة نفسية هذه الأمة ليكيفوا موقفهم منها أو يدرسوا مقومات قوتها بهدف العمل على القضاء عليها وتحطيم قدرتها على المقاومة حتى يستمر نفوذهم منشوراً وهم في كل ما كتبوه قد عمدوا إلى وضع الإسلام وتاريخ الإسلام في قفص الاتهام.

* * *

يقرر الإسلام للبطولة مفهوماً يحررها من التجسيم والوثنية فهو يخلد الأعمال بالذكر وإحياء الفكرة ويقرر قيم الناس بأعمالهم لا بأحسابهم، ولذلك فقد قال

أبو بكر يوم اختار رسول الله الرفيق الأعلى: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌ لا يموت».

ويختلف المسلمون هنا مع غيرهم من أصحاب الثقافات في مفهوم البطولة وتخليدها .. ولا يرى أن الأسماء المشهورة تمثل بطولة، ولكن العمل نفسه هو مقياسها وميزانها وقد يحظى أصحاب الفضل بخمول الذكر في عصور الوهن .. ولكن خمول الذكر لا يعني خمول القدر، والشهرة المدوية ليست مقياساً للبطولة.

* * *

إن المراجعة العميقة لتاريخ الإسلام وواقع المسلمين اليوم تثبت بكل دليل أن ضعف المسلمين وتخلفهم قد جاء نتيجة ترك «مفهوم الإسلام الحقيقي»، والتشبث بمجموعة من المفاهيم الباطلة التي تغلب روح العصر وتتخذ من التجارب الغربية منطلقاً لمفاهيم زائفة بينما لدى المسلمين مقاييسهم وقوانين النصر عندهم وسنن قيام المجتمعات والحضارات، هداهم إليها القرآن الكريم.

* * *

لقد صحت نظرية ابن خلدون في أن المسلمين والعرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم .. ومن هنا صح أن أهل هذه المنطقة لا يقادون إلى أية نهضة أو إصلاح إلا في ظل مفهوم الإسلام الجامع الصحيح.

* * *

١٥ - حول مفاهيم المجتمع

قرر الإسلام أن المجتمع الإسلامي كلّ متكامل، يحمل الأقوياء فيه الضعفاء وقد ركز على اليتامى والضعفاء والمرضى والمساكين وذوي الحاجة والعلة وجعل أمر حمايتهم ورعايتهم حقاً مفروضاً على المجتمع كله، وبذلك عارض الإسلام مفهوم الانتخاب الطبيعي وعبودية الامبراطوريات الرومانية والفارسية والفرعونية وحطم مفهوم الدعوة إلى إبادة المرضى والضعفاء أو تعقيم الفقراء.

* * *

إن دعوة الإسلام لتحقيق الرغبات الحسية عن الطريق المشروع بالزواج وتحريم الزنا، لا تنبعث من كراهية للجنس بل من احترام له وتنزيهه عن العبث وارتفاع بالمرأة عن أن تكون أداة لمتعة الرجل .. ولا ريب أن في إقرار حدود الله ما يحول دون المحظور وقد أُمر المسلمون بالتعفف إذا ما عجزوا عن الزواج.

* * *

نظر الإسلام إلى الجنس نظرة الفطرة وحرره من تعقيدات الرهبنة والرياضيات القاسية وأعلن أن الرغبات من طبيعة الإنسان التي لا سبيل إلى الوقوف في وجهها .. ولكنه حررها من الإسراف والإفساد ووضع لها ضوابطَ من الحلال والاعتدال والعفة.

ولذلك عجزت (أزمة الجنس) أن تجد لها مجالاً في محيط الإسلام، لأنها لم توجد أصلاً، ووجدت في العقائد والأفكار الأخرى التي وقفت أمامها موقف الإلغاء أو الاستسلام بغير حدود.

وفي أوربا انتقلت الدعوة من القسر الشديد إلى رد فعل بالإطلاق الشديد، أما الإسلام فقد أعلن وجود الرغبات في الإنسان من مال وطعام وجنس .. ولكنه

وضعها في إطارها الصحيح ولم يجعل الطعام قضية تفوق القضايا أو تسيطر عليها .. ولم يجعل الجنس قضية القضايا، ولكنه جعل الحياة متكاملة في عناصرها متوائمة في رغباتها وحدودها بعيداً عن الزهادة والسرف، وعن الرهبانية والتحلل، وعن الإطلاق والكبت.

ومفهوم الإسلام في الغرائز والرغبات يقوم على التحقيق في حال القدرة في حدود قواعد الزواج، أما في حالة عدم القدرة فتقوم على التسامي والإعلاء دون أن تفقد هذه الرغبات حقها المعترف به في حالة الاستطاعة. وأقام الإسلام إلى جانب ذلك نظام الطهارة الجسدية والنفسية وأباح المصادر الشريفة في المال والطعام والجنس كما أباح ظروف الاضطرار وعفا عنها.

* * *

حمى الإسلام الأمومة .. والأم في صور متعددة، اختصها بنصيب من الميراث يتكافأ مع مسئوليتها المادة فجعلها مكفولة العيش قبل الزواج وبعده .. وجعل لها حق الاعتراض على من هو أقل منها منزلة رعاية لها وصونا لكرامتها .. ووضع الإسلام النظم المتعلقة بالطلاق بما فيه حماية للمرأة والأسرة.

* * *

كما رعى حقوق الطفولة قبل الميلاد .. فقد أوصى باختيار الزوجات «تخيروا لنطفكم» وأوجب على الوالدين حسن اختيار اسم الطفل وأن يعلمه الكتابة وأن يزوجه إذا بلغ .. وجعل له السمع والطاعة ما لم يأمر بمعصية.

* * *

١٦- ما يزال الجسم الإسلامي يرفض العضو الغريب

لقد علمنا الإسلام أن نقف من المعرفة المعروضة علينا موقف التعرف الصحيح عليها في ضوء قيمنا .. فلابد من أن نحفظ كياننا من أن تصبح هذه المطروحات وسيلة للسيطرة عليه.

لقد رفض الإسلام التطور على حساب الأصالة والقيم الأساسية .. كما رفض تضحية القيم العليا في سبيل التقدم المادي ولم يخضع الإسلام مفاهيمه للحضارات وأهواء الأمم.

ليس في المناهج والنظريات والأيدلوجيات المطروحة من شيء إلا وعند المسلمين مثله أو خير منه وهو هنا مقطوع الصلة بالله تبارك وتعالى ولكنه في الإسلام متصل.

وصدق إقبال حين قال: (المسلم لم يخلق ليندفع في التيار ويساير الركب البشري حيث سار .. بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية ويفرض على البشرية اتجاهه ويملي عليها إرادته .. لابد من تطويع الدنيا لأمر الله ونصرة تعاليمه ومقاومة أكبر علل الحضارة الحديثة: عبادة الحياة .. نقول نعم للعلم ولا للحضارة الغربية بمفاهيمها الوثنية والإباحية .. إن مفهوم المسلم أن الأصالة أساس التقدم والمعاصرةوالتجديد).

* * *

لقد كانت كل قيم الإسلام متكاملة قبل أن يختار الرسول ﷺ الرفيق الأعلى وتشكلت العلوم الإسلامية قبل أن يتصل المسلمون بالفلسفات اليونانية والقديمة ولذلك فإن القول بأن المسلمين شكلوا فكرهم في ضوء الفكر البشري السابق لهم أمر مرفوض تماماً.

العقيدة وليست اللغة هي علاقة بناء الجماعة .. فإذا زالت العقيدة زالت الجماعة وانحلت وانقرض وجودها.

والعقيدة – كما يقول علال الفاسي – هي منتهى ما تصل إليه الجماعة لحفظ كيانها وتحقيق أهدافها الفطرية، في قيام حياة اجتماعية منتظمة متحركة ودائمة، وما دامت العقيدة فإن الجماعة تدوم .. فإذا زالت فإن هذه الجماعة تنحل وينقرض وجودها.

لا يوجد عامل من عوامل الفناء في الأمم وفي الجماعات إلا وهو ناشئ عن ضعف العقيدة أو زوالها .. وقد تعيش المجتمعات بالعقائد الخرافية وقد تعيش بالصادق من العقيدة .. ولكن لا يمكن أن تعيش دون اعتقاد بل إن الحضارات الحقيقية لا يمكنها أن تسير بغير دين وطاعة ثابتة.

* * *

١٧ - حول تربية الأجيال على منهج الله

إن دعاة الإسلام مطالبون اليوم بأن يرتبوا أولوياتهم في ضوء أولويات المبادئ والأحكام في التصور الإسلامي فالعقائد تسبق التكاليف وأساسيات الأخلاق والسلوك تسبق الآداب.

على الدعاة إلى الله أن يقيموا منهج الله تبارك وتعالى في بناء الأجيال الجديدة على النحو الذي رسمه رسول الله ﷺ .

ولقد رسم الإسلام للنشء في الإسلام منهجاً جامعاً يقوم على تربية جسمه وعقله وروحه، وقد حقق هذا المنهج نتائج عظيمة، حمت أجيال المسلمين من التحديات التي كانت دائماً تتربص بهم.

وعلينا أن نعرف مدى الفوارق العميقة بين منهج الإسلام في التربية وبين النظريات الحديثة التي تركز على الجوانب المادية في كيان الإنسان متجاهلة أشواق الروح، ومن أجل ذلك لم تستطع أن تخفف من أعبائه، بل زادته شقاء.

وعلينا أن نعرف أن أسلوب التربية في كل أمة ينبع من عقيدتها وهويتها وتطلعاتها، وأن الإسلام صاحب رسالة عالمية شاملة تخاطب الناس في كل عصر ومصر، فهي إذن تخضع في تنشئة أفرادها لأهداف رسالتها السامية ومن ثم برئت من العيوب التي تمخضت عنها المذاهب الشيوعية والرأسمالية حين حصرت أهدافها المادية في دائرة ضيقة فلم تنجح في إسعاد الإنسان.

وقد ركز الإسلام على الأم ودورها في بناء الطفل وأنها هي التي تزوده بالعواطف والمشاعر وتؤمن له طبيعته، وقد كشفت الأبحاث في الغرب عن أن أغلب وجهة الجرائم في الشباب مصدرها نقص الحنان الذي تقدمه الأم في السن الأولى، وأن دور الحضانة لم تحقق إلا مزيداً من خلق طفل متمرد ساخط.

كذلك فقد كشفت الأبحاث العلمية عن أهمية وجوب إرضاع الأم لطفلها من ثديها، فضلاً عن دعوة الإسلام إلى حسن اختيار الأب للأم وحسن اختيارهما لاسم المولود.

* * *

وتمتاز النظرة التربوية الإسلامية عن سائر النظريات التربوية بهدفها الواسع في تطور الكائن البشري بما يحقق معنى (المواطنة الصالحة) والانتماء وهو ما تقصر عنه النظريات التربوية الغربية وتركز التربية الإسلامية على (عالمية - مجانية - استمرارية) التربية في المجتمع وتسخيرها نحو خير المجتمع وسعادته.

ولأن النظرة التربوية الإسلامية قرآنية ربانية أساساً فهذا هو مصدر قدرتها على تحدي الأعاصير التي حاولت اقتلاع جذرها من المجتمع الإسلامي وكيف باءت هذه المحاولات بالفشل.

فللنظام التربوي الإسلامي قدرته الفائقة على تلبية الاحتياجات القائمة والمنتظرة للمجتمعات المسلمة.

* * *

وقد قامت التربية الإسلامية على قاعدتين:

١- تربية العقل وتحريره من الضلالة الفكرية.

٢- تربية النفس وتحريرها من الأهواء.

وفي الأول إقناع العقل بالدليل وفي الأخرى إقناع القلب باليقين.

وفي مفهوم التربية الإسلامية مستويان:

١- مستوى القيم الثابتة.

٢- مستوى التغيير الزمني والبيئي

ولكل حدوده وضوابطه..

هذا المفهوم المتميز، هو الذي حاول النفوذ الأجنبي إسقاطه وتجاهله وطمسه، لقد كان الإسلام عاملاً على بناء الإنسان المسلم على نحو يجعله عزيزاً كريماً لا يقبل الذل ولا يخضع ولا يكون عبداً إلا لربه تبارك وتعالى.

لقد ربى الإسلام معتنقيه على الاعتزاز بكرامتهم وعلى الإيمان بأنهم خلقوا ليحققوا وجودهم فوق هذه البسيطة وليؤكدوا مكانتهم تحت الشمس، سادة لا يقبلون المذلة، ولذلك فلم يكن الإسلام يوماً حليف الطغيان أو الظلم.

وفي العصر الحديث فإن الإسلام هو الذي استطاع أن يحرر العرب والمسلمين من رق دول الاستعمار ذات العَدَد والعُدَد، رغم أنه لم يكن للمسلمين مورد ولا سند غير الله، وأن قوتهم الأساسية التي واجهوا بها النفوذ الغربي المتسلط هي قوة الروح والفكر والعقيدة .. وعلى الإسلام أن يكون اليوم عامل تقدم بعد أن كان عامل تحرر.

* * *

وعلى الدعاة أن يرفقوا بالناس في سوقهم إلى الله تبارك وتعالى .. ويجب أن يكون الدعاة إلى الله عارفون بالتيارات التي تجري من حولهم زاهدون في زخرف الحياة الدنيا وفضول العيش، قدوة حقيقية حتى يجدوا من الناس استجابة لهم.

فالزهد في التطلع إلى مطامع الحياة يكسب الداعية إلى الله قوة المقاومة والاستهانة بأمر المادة، والثبات على الحق الذي يدعو إليه .. ولا يصح الاقتصار على تحريك الإيمان وإثارة العاطفة في نفوس الناس بل يجب أن تضم إليها تنمية الوعي الصحيح وتربيته والفهم للحقائق والقضايا وعدم الانخداع بالشعارات والمظاهر.

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا

وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ، وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ..

إن أخطر ما يصيب الدعاة أن يتعجلوا النصر فيطلبوه من غير سبيله أو يسعوا إليه من غير بابه.

* * *

١٨ - قضية تكامل القيم في الإسلام

تعد قضية تكامل القيم في الإسلام أخطر القضايا في المواجهة مع الفكر الغربي الذي يؤمن بالانشطارية والتجزئة ويفصل بين القيم ويرى أنها من المتناقضات التي لا يمكن أن تتلاقى.

وهذا هو أخطر الفوارق العميقة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي وله آثاره البعيدة في المجتمع والحضارة والعلوم والتربية.

أساساً فإن الفكر الإسلامي يختلف عن غيره في أمور أساسية:

أولاً: في النظرة إلى الله تبارك وتعالى وإلى الكون وإلى الإنسان.

* فالله هو الواحد الأحد المالك والذي إليه ترجع الأمور.

* والكون وجد بالحق ليقدم فيه الإنسان ثمرة عمله من أجل إقامة المجتمع الرباني.

* والإنسان مستخلف وسيد ومؤثر ومسئول ومحاسب ومجزي وله إرادة وله التزام أخلاقي.

ومن هنا جاءت قدرة الإسلام على التوفيق بين العلم والخلق، بين العمل والإيمان، بين الطبيعة وما وراء الطبيعة .. ويقيم التوازن بين القيم الروحية والقيم المادية.

لقد انحرفت اليهودية إلى الفردية الطاغية وانحرفت المسيحية إلى الروحية النافرة من الدنيا وبقي الإسلام وسطاً يجعل الفرد متفاعلاً مع المجتمع والمجتمع متفاعلاً معه.

ونتيجة لتكامل الإسلام فإنه لا سبيل إلى فهم إلى قطاع منه على حدة، فلابد

من ترابط القطاعات كلها التي تتكامل وتتساند.

ونتيجة لتكامل القيم في الإسلام أقام التوازن بين: الجانب الروحي والجانب المادي .. الجانب العقلاني والجانب الوجداني .. الجانب الفردي والاجتماعي.

الغرض من هذا التوازن إرضاء جميع تطلعات الفرد الروحية والوجدانية دون أن يؤثر ذلك في سير الحياة البشرية من حيث ضرورة التوازن بين القوى وبين تحكم النفس الإنسانية.

فهو يقرر العبادة مع عدم الإيغال فيها إلى الرهبانية. وهو يدعو إلى الزهد والتوكل على الله مع السعي في الدنيا ومن هنا فإن الاتجاهات الروحية أو المادية التي ظهرت خلال التاريخ الإسلامي لم تستطع الاستمرار والبقاء؛ لأنها أوغلت في جانب من جوانب التوجه الإسلامي فانحرفت عن الخط الفكري والسلوكي الذي رسمه الإسلام، كالاعتزال في تبني المنهج العقلاني والتصوف في تمثل المنهج الروحي وكلا الاتجاهين منفصلاً عن التكامل الإسلامي - هو انحراف عن المنهجية الإسلامية بمقدار إخلاله بمبدأ التوازن.

* * *

لقد ربط الإسلام بين المعرفة القائمة على العقل والمعرفة القائمة على الوجدان حيث يلتقي العقل المؤمن مع الوجدان الصادق .. ويقرر الإسلام ترابط التقدم المادي مع التقدم المعنوي.

والتاريخ يبين لنا أن الأمم التي أخذت بالوسائل المادية وحدها، لابد أن تنتكس انتكاسات كبرى. ولقد سقطت الحضارات الكبرى الرومانية والفارسية والفرعونية نتيجة تحللها من الترابط بين القيم وسقوط البعد الرباني والبعد الأخلاقي.

وهذه الحضارة المعاصرة تدخل الآن مرحلة الانهيار؛ لأنها تخالف قاعدة التكامل، فالإسلام دعوة إلى التقدم في إطار الربانية والأخلاق..

ويقرر الإسلام ثلاث قيم أساسية:

توازن: بين الفردية والجماعية .. ملائمة: بين العقل والقلب .. مطابقة: بين الكلمة والسلوك.

والإيمان بالله يعني الاعتقاد الجازم بقاعدة أساسية تسيطر على القلب والعقل في آن واحد، أما المعرفة فهي العلم بالشيء دون الإيمان به.

والعاطفة تعطي الفكرة قوة وإنسانية وحيوية.

ومن الضروري استواء الفكر والعاطفة بحيث لا ينفصلان وكلاهما ضروري ومتكامل .. العاطفة مضيئة بأنوار الفكر، والفكر مشوب بحرارة العاطفة.

والمسلمون لهم عقول في أدمغتهم، ولهم قلوب في صدورهم .. وخير العلم ما نفذ من العقل إلى القلب كما قال الإمام الغزالي.

والإسلام دين جامع: يضم العقيدة والشريعة والأخلاق .. فالعقيدة هي معرفة الله سبحانه عالم الغيب والشهادة .. والشريعة هي تنظيم الحياة والمجتمع .. والأخلاق هي معرفة الخير والشر والحق والباطل، والفضيلة والرذيلة.

وفي المناهج الغربية قوى ثلاث: عامة تبحث عن الأشخاص وأنصاف المتعلمين يبحثون عن الحوادث وعلماء يبحثون عن المثل العليا .. ويجمع القوى الثلاث فيما وصفه الإمام الغزالي بالعامة والخاصة وخاصة الخاصة .. حيث يجمع المسلمون بين النظرة إلى الأشخاص، والأشياء، والمثل العليا مقدمين النظرة الكاملة الجامعة.

ولقد أعطى الإسلام لتكامله وسماحته القدرة على التوفيق ببراعة بين القيم المواجهة، التي يراها الفكر الغربي متناقضة، ويوازن بينها.

* * *

١٩ - الترابط بين القيم قاعدة الأساس

أخطر ما واجه الفكر الغربي من التحدي هو تمزقه بين القيم .. بينما يجمع الإسلام بين القيم.

يفرق الفكر الغربي بين الهيكل والمضمون .. والظاهر والباطن .. والإرادة والوجود .. والروحي والمادي.

وقد أحدثت فكرة ديكارت في الفصل بين الإرادة والوجود انقساماً جوهرياً بين الموجود والماهية في كل الفلسفة الغربية حتى جاء سارتر فقلب الموازين وقال بأن الوجود يسبق الماهية.

أما الإسلام فموقفه يختلف .. فهو لا يرى سبق الوجود للماهية أو الماهية للوجود أو الوجود للإرادة بل نرى أن الوجود هو نفسه الإرادة وكلاهما بديهية أولية واحدة، يتلقفها العقل والوجدان في آن واحد وفي لحظة واحدة حيث لا يمكن أن ننظر إلى العالم المادي على أنه منفصل أو متناقض للعالم الروحي، أو أن عالم الإرادة يناقض عالم الوجود كأنهما منفصلان.

وبهذه النظرة لا يكون لدينا أي إحساس بالثنائية أو الازدواج وهو ما عانى منه الفكر الغربي .. فالحياة في مفهوم الإسلام وجود وإرادة معاً. والنظرة تتكامل بالعقل والوجدان معاً. والإرادة هي قوة الحركة في الحياة والإرادة غير منفصلة عن الوجود.

* * *

لقد قرر القرآن مبدأ الترابط بين القيم كدعامة أساسية .. وآية ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾ . يعني أن العالم مترابط بعضه مع بعض، ومبدأ الترابط هو قاعدة قانون الثوابت والمتغيرات، والوسطية، والتكامل الجامع والنظرة الواسعة التي تعرف أبعاد الأمور وخلفياتها.

أقام الإسلام منهج المعرفة على أساس (الثوابت والمتغيرات)، وبذلك عقد رباطاً حاسماً بين القيم الثابتة التي هي حقيقة الإسلام وقوام العقيدة وبين العمل البشري المتمثل في صورة المجتمع من ناحية وحركة التاريخ من ناحية أخرى.

فالإسلام لا يقر الفصل بين العلم والعمل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ فكل علم وكل عقيدة لابد مفضية إلى حركة وعمل وتغير، ومع اتصال الحركة تبقى القيم ثابتة على مر العصور لا يعتورها تغير، ويبقى عمل الإنسان الذي هو بمثابة حركة التاريخ موضع النظر في اقترابه أو ابتعاده عن الثوابت الأساسية.

والقيم الأساسية ثابتة في جذورها، ومتغيرة في فروعها، فالإسلام يفسح في إطارات القيم حتى يجعلها مرنة وقادرة على التجاوب مع العصور والبيئات، دون أن تخضع لانحرافات المجتمعات أو سلبياتها التي تخرج على الضوابط الأساسية والحدود الكبرى.

والأخلاق في الإسلام قيمة ثابتة متصلة بالعقيدة من ناحية ومتصلة بثبات فطرة الإنسان وتكوينه على مدى العصور، ومفاهيم هذه القيم لا تتغير، وهناك فارق بينها وبين التقاليد التي تتغير مع الأزمنة والبيئات والتي هي من صنع المجتمعات .. وتخطئ نظرة الفكر الغربي حين تقول: إن الأخلاق هي التقاليد .. وفارق بينهما. وليس صحيحاً أن القيم الثابتة الأساسية مفروضة على الإنسان، ولكنها في الواقع هي ميزان حياته، فلو عارضها وخالفها لأحس بالتمزق والغربة والضياع .. فعلى المسلم أن يكيف رغباته وسلوكه تكييفاً إيمانياً واعياً مع سنن الحياة التي وضعها الخالق (عز وجل) وأن يجري في نطاق الوجهة التي حددها الله تبارك وتعالى ولا يعارضها ولا يخرج عن الحدود والضوابط.

* * *

أعطى الإسلام النفس الإنسانية الانتماء، وحال بينها وبين الاغتراب .. وأعطى

النفس الإنسانية اليقين وحال بينها وبين التمزق .. وبذلك شكل الوجدان الإسلامي على نحو من الإيمان بالله تبارك وتعالى، يحول دون وقوع الجريمة وفق طريقة الإسلام في مكافحة الجريمة، وهي منعها قبل أن تقع بمصادرتها في زوايا النفس ومجال الضمير، وقبل أن تصل إلى مرحلة العقاب.

* * *

٣٠- حول الثوابت والمتغيرات

أولاً: قاعدة ثبات السنن الإلهية:

أكد القرآن الكريم ثبات السنن الإلهية وحتميتها وعدم تخلفها .. وهي تشمل القوانين الطبيعية والكونية .. وهذا يعني أن القرآن الكريم يقيم للتاريخ اعتباراً كبيراً فهو حصيلة التجارب الإنسانية الطويلة التي ينبغي أن تتوجه إليها الإرادة الإنسانية لاستفادة الدروس والعبر، واكتشاف السنن التي تحكم تصرفات الناس وسير التاريخ خلال الزمن الطويل.

وسنّة الله تبارك وتعالى تقوم في ثلاث ميادين: التراوح، والتسخير، والتعارف.

والهدف من التراوح: السكن والرحمة لا الصراع والتضاد.. والتسخير بمعنى تسخير الكون للإنسان وتقسيم العمل بين الناس .. والتعارف القائم على الرحمة لا الصراع.

وقاعدة ذلك أن التباين يتم به التراوح والتسخير والتعارف لتشيع الرحمة لا الصراع، هذه الرحمة التي تنطلق في جنبات النفس الإنسانية بطاعة الله.

ثانياً: قاعدة الثبات في الإسلام، تترابط مع قاعدة التغيير .. وتقوم الحركة في إطار الثوابت.

فالثبات في الإسلام على الأهداف والغايات العليا، ثبات الأصول والمنطلقات والمرونة في الوسائل والأساليب، والفروع والجزئيات .. وتعود قاعدة الثبات إلى ثبات جوهر الإنسان منذ عهد آدم إلى اليوم، وتغير أساليبه ووسائله (الأكل، الشرب، النوم، المطامع، الرغبات، الملابس، جمع المال).

فالإسلام يجمع بين المرونة والتطور، وتحقيق التوازن بين القيم ثبات في الكليات والجوهر، وتغير في الجزئيات والمظهر .. ولما كان التطور قانوناً قائماً في الكون والحياة .. فالثبات قانون قائم أوسع دائرة بلا مراء.

والرسائل السماوية تمثل الثبات، كانت قبل الإسلام لعصر أو لأمة بعينها، أما الإسلام فجاء عالمياً للناس كافة.

وثبات الشريعة الإسلامية يحول دون فناء المجتمع أو نوبانه في المجتمعات الأخرى أو تفككه .. فهي تقوم على أسس راسخة لا تعصف بها الأهواء والتقلبات السياسية والاجتماعية، وبالمرونة يتكيف المجتمع مع العصر والبيئة دون أن يخرج عن ثوابته الأساسية.

* * *

والثبات في الشريعة يتقرر في المصادر الأصلية النصية القطعية للتشريع، وتتجلى المرونة في المصادر الاجتهادية التي اختلف فقهاء الأمة في مدى الاحتجاج بها.

ويتمثل الثبات في العقائد الأساسية الخمس: الإيمان بالله تبارك وتعالى، وكتبه، وملائكته، ورسله، واليوم الآخر.

ومن شرائع الله القطعية: الزواج، والطلاق، والميراث، والحدود، والقصاص.

ومن الأركان العملية الخمس: الشهادة، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت.

ومن المحرمات الثابتة: السحر، وقتل النفس، والزنا، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، والتولي يوم الزحف، والغضب، والسرقة، والغيبة، والنميمة.

هذه أمور ثابتة تزول الجبال ولا تزول.

* * *

وكليات الدين وقواعده الأساسية: كلية أبدية وضعت عليها الدنيا، وبها قامت مصالحها في الخلق.

وفي جانب المرونة تجد جزئيات الأحكام وفروعها العملية .. وهناك نوع من الأحكام (أي: الفتوى) يتغير بحسب اقتضاء المصلحة زماناً ومكاناً وحالاً، كوسائل التعزير وأجناسه وصفاته، فإن الشارع ينوع فيه حسب المصلحة.

* * *

والثبات يتمثل في قوله تعالى:

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ .

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ .

﴿ لا يَتَّخِذَ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ﴾ .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ ﴾ .

وتتمثل المرونة في قوله تعالى:

﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاة ﴾ .

﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ .

﴿ لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ ﴾ .

﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ .

والخطر أن تتحول الاستثناءات إلى قواعد وتصبح هي الأصل في التفكير والسلوك.

* * *

٢١- سبق المسلمين

أولاً: سبق المسلمون الغرب في أشياء كثيرة في مجال الثقافة:

(١) سبق المسلمون في إنشاء الموسوعات العامة.

(٢) سبق المسلمون في إنشاء تراجم الأعلام.

(٣) سبق المسلمون في إنشاء منهج التحقيق العلمي.

ثانياً: كشف الباحثون حقيقة لا محيص عنها: أن المسلمين أنصفوا الأديان التي سبقتهم ونظروا إليها في سماحة ويسر وهذا ما سجله (هاملتون جب) حيث يقول:

إن العرب أول من ألف في الأديان والنحل؛ لأنهم كانوا واسعي الصدر تجاه العقائد الأخرى، وحاولوا أن يفهموها ويدحضوها بالحجة والبرهان، ثم إنهم اعترفوا بما أتى قبل الإسلام من ديانات توحيدية ويحظى ابن حزم هنا بالنصيب الأوفر».

ثالثاً: إن الإسلام هو الحد الفاصل بين فترتي التاريخ العالمي، وهو الذي أطلع العصر الحديث .. يقول فارس الخوري: يقسم العلماء الغربيون التاريخ إلى ثلاثة أدوار: قديم، متوسط، حديث .. ويضعون سقوط الدولة الرومانية المقدسة حداً بين العصور القديمة والمتوسطة، ولست أقول: إن سقوط الدولة الرومانية لا يصح اتخاذه حداً فاصلاً من التاريخ القديم والمتوسط، فقد كان أثر سقوطها عظيماً، وإنما هنالك حادثة أعظم كان جديراً بعلماء التاريخ اتخاذها حداً فاصلاً لفترتي التاريخ العالمي، وأعني بذلك ظهور الإسلام».

تلك هي الحقيقة التي يجب أن تصدر بها كتب التاريخ المعاصر في بلاد المسلمين حتى يتأكد أبناؤنا والأجيال المتصلة بأن أمتهم وقومهم كان لهم دور عظيم في بناء الحضارة الإنسانية وأن هذا المجد وهذا الدور لم يكن له إلا مصدر واحد: هو نزول رسالة الإسلام في بيئتهم.

رابعاً: إن قيم الإسلام وخاصة فريضة الجهاد وبيع النفس لله، والدفاع عن العرض والأرض، هي التي حركت جماهير العالم الإسلامي وأعطته طاقاته لمواجهة الاحتلال ومقاومة النفوذ الأجنبي، وكانت مانعة للمسلمين من الذوبان أمام الغزو، وكانت دافعة للانتصار والنهوض من جديد.

إن معارك التحرير التي ظهرت تحت اسم الوطنية أو الإقليمية أو القومية كانت مستمدة أساساً من مفهوم الإسلام.

* * *

٢٢- حقائق أساسية

إن هناك عدد من المصطلحات الوافدة يرددها المسلمون دون أن يلتفتوا إلى إلى مدى الفارق العميق بين مفاهيم الإسلام ومفاهيم الفكر الوافد.

أولاً: الفرق بين قهر الطبيعة والتسخير الإلهي

خطأ ما يقال من أن الإنسان في عصر العلم قد قهر الطبيعة وذللها وأنه قد أخضع المادة لعنفه وتصرفه وأنه قد صار سيد الكون وأصبح مستغنياً بنفسه قائماً بذاته حتى كتب بعض الغربيين في ذلك وألفوا، كما نجد في كتاب: جوليان هكسلي الموسوم (الإنسان يقوم وحده ولم يعد في حاجة إلى إله يعينه).

ويضربون الأمثلة على قهر الطبيعة بأنواع الصناعات وفنون التعدين واستخدام الطاقة الكهربائية والنووية وغيرهما، ويشيرون إلى علوم الحياة والتقدم الملحوظ في الإنتاج الحيواني، فالإنسان في نظرهم لم يعد في حاجة إلى انتظار مطر السماء بعد أن فجر ينابيع الأرض.

وهذا كله محض افتراء على الله تبارك وتعالى وعلى منهجه، فقد سخر الله تبارك وتعالى الجبال والأنهار وسخر المعادن فأصبحت قابلة للطرق والتشكيل ولولا تسخير الله لها لما استطاع الإنسان أن يصنعها، ولولا أن وراء هذا الكون قوة مدبرة وإرادة مسخرة لما ذل لنا الحديد ولسنا نحن الذين سخرناه ورتبناه على ما هو عليه فقد أتى علينا حين من الدهر لم نكن شيئاً مذكوراً.

ونصوص القرآن في هذا الصدد تصرح بكلمات التسخير والتجهيز والتذليل وهي تنسب جميعها إلى الله تبارك وتعالى.

ثانياً: القوة المادية والقوة الروحية

من أبرز مفاهيم الفكر الإسلامي التكامل بين القيم الروحية والقيم المادية وليست القوى الإنسانية خيراً أو شراً في حد ذاتها. بل في طريقة استعمال الإنسان لها، وتأثيرها النهائي، فإذا استخدمت لإسعاد الناس وتقدمهم مادياً وروحياً كانت على طريق الله تبارك وتعالى، أما إذا استخدمت لاستعباد الناس فذلك هو شأن الحضارات المادية، ومن هنا يتبين أهمية الدور الذي يقوم به الدين في حياة الأمة .. فمهمة الدين هي التوجيه الخلقي والروحي.

والإسلام يعطي أهمية كبرى للقوة المادية التي أهملت بعض الأديان أو قللت من شأنها ومن ثم يتطلب ضرورة توفرها لتقدم المجتمع وحركته.

كذلك يعطي الإسلام أهمية كبرى للقوة الروحية، لقد غالت اليهودية في تقدير القوة المادية وغالت المسيحية في تقدير القوة الروحية أما الإسلام فهو دين التوازن الذي أقام الحد بين الناحيتين على أساس أن كل منهما عنصر أساسي في الطبيعة البشرية وكلاهما لا غنى عنه لتقدم الإنسان وفي غياب أحدهما إفساد للآخر.

ومن هنا كان اهتمام الإسلام بالفرد في المجتمع، وحاجته إلى التقدم المستمر وتحرير طاقاته كلها (فكرية وخلقية وعملية) لتنطلق في خدمة تقدمه كإنسان وفي خدمة المجتمع ككل.

ثالثاً: لا يوجد تضارب بين العروبة والإسلام في مجال الفكر

فعروبة الفكر تعني إسلاميته .. فليس هناك فلسفة عربية في الفكر غير مستمدة من القرآن وإن محاولة خلق فلسفة عربية معاصرة معزولة عن الإسلام هي محاولة زائفة ولا استمرار لها إلا في الظروف التي تساندها فيها

الدعايات الوافدة. وإن محاولة خلق وجود عربي أو عروبة أو فكر عربي على النحو العلماني المنفصل عن الإسلام أمر بالغ الاستحالة وبالغ الابتعاد عن الذاتية العربية الإسلامية والمزاج النفسي الذي عرفته هذه الأمة.

* * *

٢٣- قوانين ثابتة

إن المراجع لمنهج الإسلام يجد أن هناك قوانين أساسية متجددة على الزمن لا تتغير تؤكد قدرة الإسلام على العطاء في جميع البيئات والعصور:

أولاً: إن هناك قدرة الإسلام الفائقة على تجديد نفسه من الداخل وإعادة صياغة فكره كلما انحرف هذا الفكر أو أصابته دخائل حولته عن جوهره وكان دائماً وسيظل كياناً حياً قادراً على التمدد والعطاء، وقد كشف الإسلام عن طبيعته الأصيلة القادرة على التوسع والعطاء دون إرغام، والتكيف مع الجماعات والناس والأفكار ومنذ ظهوره وكل حدث مرتبط به على نحو من الأنحاء.

ولقد استطاع الإسلام حين امْتُحِنَ بتحديات الصليبيين والتتار أن يدخل أرضاً جديدة في جنوب شرق أسيا وأفريقيا وافتتح قلوباً جديدة فأضاف إلى معتنقيه أضعاف أصحابه الأصليين ومنذ انتشر الإسلام لم يتغلب عليه متغلب من الأديان، وإن وقع أهله تحت سيطرة الأمم لتخلفهم عنه وانحرافهم عن طريقه الأصيل.

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ .

ثانياً: ربط الإسلام بين العقيدة والتطبيق وقرن العلم بالعمل، ورفض مبدأ العلم لذاته، وقرر أن العلم إنما يطلب من أجل العمل به والاستفادة منه في تحسين الحياة الإنسانية وتقدمها.

وقد اتصل ذكر ترابط الإيمان والعمل في القرآن في أكثر من خمسين موضع ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ .

وكشف عن أن الطبيعة البشرية مزودة بقدرتين:

- قدرة نظرية قادرة على تحصيل العلم.

- وقدرة عملية قادرة على تقويم العمل.

ولابد للاثنين معاً، ولا ريب أن فقد القدرة العملية تعوق التقدم الإنساني وتحول دون تحقيق نماء المجتمع.

ثالثاً: حرر الإسلام المسلمين من دوامة البحث فيما وراء الطبيعة أو عالم الغيب فقدم لهم منهجاً كاملاً للميتافيزيك وذلك حتى يفرغ الإنسان لمهمته في بناء المجتمع وتعمير الأرض وتحقيق العدل والإخاء الإنساني، والعالم في مفهوم الإنسان ليس قديماً ولكنه حادث، خلقه إله قادر مستقل عن العالم.

رابعاً: هاجم الإسلام الخرافات والسحر والكهانة وأنكر العرافين وطارد الأوهام والمعتقدات الباطلة وأنكر ادعاء علم الغيب واعتبر السحر كفراً، وحرص على أن يرتفع المسلم بإيمانه عن الضعف البشري الذي يجعله ألعوبة في يد أوهام الطوالع وأضاليل العرافين وقال ﷺ في هذا: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تُقْبَل صلاته أربعين يوماً»

خامساً: فرق الإسلام بين العلم النافع، والعلم الزائد عن الحاجة ودعا المسلمين إلى أن يأخذوا من كل علم بما هو أحسنه: ﴿ وَيَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ وقول الرسول ﷺ : «العلم كثير فخذوا من كل شيء أحسنه». وهو في هذا يركز أيضاً على أهمية الاجتهاد ويرفض التقليد والبحث عن البرهان وقبول الدليل، والعودة إلى الحق متى تبين (ولا يمنعنك قضاء قضيته بالأمس ثم هُديت فيه لرشدك أن تعود إلى الحق).

سادساً: دعا الإسلام معتنقيه إلى معارضة التقليد للأجنبي، ورفض التبعية وفي ذلك يقول الرسول: «من تشبه بقوم فهو منهم»، وليس معنى هذا أن يصم المسلمون آذانهم عن كل صوت يأتي من الخارج؛ بل أن يكونوا قادرين

على إبعاد العناصر التي تدمر شخصيتهم وقيمهم وتقبل كل ما يريدهم قوة.

فقد حذر الإسلام المسلمين بالتشبه بغيرهم في أسلوب العيش، وحرص على أن تظل شخصية المسلم وفكره وحضارته ومجتمعه متميزة.

ولذلك أعلن حربا لا هوادة فيها على التقليد وعلى التبعية ودعا إلى إعلان التمييز بيننا وبينهم في الأخلاق والعادات وكشف عن أن التقليد فقدان للشخصية وأن التبعية عبودية للفكر والعقل، وكشف عن التقليد يجري دائما في جوانب الضعف والهدم والانحلال ويركز دائما على التحلل والانهماك في اللذات والتخلي عن قيم القوة والتماسك والصمود.

ولذلك فإن القول الذي تردد من أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لم يكن قولاً حكيماً؛ لأنه يتعارض مع الفطرة ومع طبيعة النفس العربية المسلمة ومزاجها الذي شكله الإسلام منذ أربع عشر قرناً، وإن الظن بأن تلك التبعية تلحقنا بركبهم هي خطأ شائع ونصيحة ماكر ودعوة مضلل.

سابعاً: هناك أمور ليست أممية ولا مشتركة بين الأمم البشرية جميعاً، فهي مطبوعة في كل أمة بطابعها الخاص. تلك هي الأخلاق والعادات والتقاليد والآداب، فضلاً عن الذوق والروح والمزاج.

إن هذه الأمور هي مقومات كل أمة ومنبع إلهامها، وهي ترجع إلى عوامل كثيرة أبرزها عوامل الدين والعقيدة، بالإضافة إلى عامل البيئة، والتاريخ، والعنصر، ولا ريب أن الفوارق بين الأمم من ناحية الأخلاق، والاجتماع، والعقائد، واللغة قوية وعميقة الجذور إلى درجة تجعل من المستحيل تذويبها أو احتوائها من جانب القوى المسيطرة أو الغازية.

* * *

٢٤- خطأ القول بــأن :

أولاً: في الوحي:

خطأ القول بأن القرآن الكريم انطباع في نفس النبي ﷺ نشأ عن تأثير بيئة النبي التي عاش فيها وخطأ القول بأن القرآن الكريم فيض من العقل الباطن وليس وحياً إلهياً.

ويحاول هؤلاء أن ينسبوا القرآن إلى النبي، وفي سبيل ذلك يتحدثون عن ما يسمونه عبقرية محمد وصفاء نفسه وصولاً إلى نسبة القرآن الكريم إليه.

وهذه مؤامرة خطيرة تقطع الصلة بين المسلمين والقرآن فإنه إن كان من كلام محمد فهو من عمل البشر، وبذلك يفقد معناه الأسمى ويفرق المسلمين فينتهي أمر الإجماع عليه.

لقد كان محمد ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب .. فمن ذا الذي أطلعه على ما جاء في القرآن مصدقاً لما في التوراة والإنجيل .. أما علمه بشئون قومه فهو علم لا يزيد عن علم غيره، ثم من ذا الذي أطلعه على قصص الأولين.

ثانياً: حديث الجهاد:

تردد القول حول حديث الجهاد المنسوب إلى الرسول ﷺ : «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر: جهاد النفس» .. هذا الأثر ليس بحديث على الصحيح، قال أمير المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر في تسديد القــوس: هو مشهور على الألسنة وهو من كلام إبراهيم بن عبلة وقال العراقي في تخريج أحاديث (إحياء علوم الدين) رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر، على أنه لو صح فإنه لن

يعطي أبداً الانصراف عن الجهاد والاستعداد لإنقاذ بلاد المسلمين من عارية أهل الكفر. وإنما كون معناه وجوب مجاهدة النفس حتى تخلص لله في عملها فلتعلم وهناك أمور يلحق به كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثاً: ما يرفضه الإسلام:

(١) رفض الإسلام فكرة الرهبانية والهروب من الحياة والسلبية والانطوائية كما رفض فكرة الإباحية.

(٢) رفض الإسلام فكرة الثبات المطلق والتطور المطلق .. كما رفض القول بتطور الأخلاق، ولا نقر القول بأن غاية الدين ليست الأخلاق وإنما الملائمة بين الفرد والمجتمع.

(٣) رفض الإسلام فكرة أن الفرد نتيجة مفتعلة وليست بسبب فاعل في الحوادث التاريخية.

(٤) رفض الإسلام فكرة الفصل بين الإيمان والمعرفة، أو القول بأن الدين يختص بالاعتقاد (الإيمان) والعقل يختص بالمعرفة لا الإيمان.

* * *

إن فصل العلم عن صاحب العلم نظرية لا يقرها الإسلام، كما رفض الإسلام انفصال العلم عن قاعدة الإيمان.

* * *

٣٥- النظرة الغربية الوافدة

إن النظرية الغربية الوافدة هي استجابة لتحديات مجتمع بعينه له مشاكله وأزماته وقيمه وعقيدته؛ وقد نقلت هذه النظرية إلى مجتمعنا في مرحلة ضعفه ووقوعه تحت سيطرة قوة غازية .. ومن هنا فإن المجتمع الإسلامي لم يقبلها أساساً ولكنها فرضت عليه.

ولذلك فلابد أن نواجه هذا الخطر وأن نصحح موقفنا منه وأن نعرف مجموعة من الحقائق عن الفكر الغربي تضيء لنا الطريق إلى النظرة الصحيحة.

* * *

انفصال الفكر الغربي عن قاعدتين أساسيتين:

(الأولى): عن قاعدة الإيمان بأن مصادر نواميس الكون وقوانينه قد أرساها الله تبارك وتعالى وبذلك وقع الانفصام في الحضارة الغربية بين العلم والإيمان.

(الثانية): انفصال الفكر الغربي عن قاعدة ارتباط خلافة الإنسان في الأرض بشروط عبادة الله وتحقيق غاية الوجود الإنساني وهو إقامة منهج الله.

لقد عمد الفكر الغربي إلى أن يبعد إرادة الله عن غاياته ووسائله .. وبذلك يتعدى حدوده وضوابطه باسم مسئولية المجتمع. ولو عقل لعرف أن الحضارة والعلم هما من عطاء الله عن طريق هداية عقل الإنسان، ولذلك فلابد لنجاحهما أن يسيرا في طريق الله وإلى غايته.

لقد أخطأ الفكر الغربي في تخليه عن المصدر الرباني في مناهجه ونظرياته.

* * *

أبرز أخطاء الفكر الغربي هو نسيان مقاصد الله القائمة من وراء كل شيء ..

وظنوا أن قدرتهم في الوصول إلى مكتشفات العلم هي من تدبيرهم الخاص، ولذلك قالوا بأن الحضارة لم تعد في حاجة إلى وصاية الله، ويطلقون على مقادير الله كلمة الطبيعة إنكاراً لفضل الله.

* * *

ليس التطور قانوناً أخلاقياً، وليس كل طور أفضل من الطور الذي سبقه، بل إن التطور قانون اجتماعي واقعي ولا يقتضي مطلقاً تفضيل الطور الأخير على الأطوار السابقة، ذلك أن فكرة التطور الاجتماعي إنما أخذت من فكرة التطور الحيوي (البيلوجي) والتطور في الحياة يكون تحسناً وارتقاء وقد يكون انقراضاً.

* * *

إن وحدة الثقافة العالمية هي عبارة خلابة المظهر براقة الصورة .. ولكنها تخفي في أعماقها التعصب والاحتقار للثقافات الإنسانية غير الغربية ومعناها في الواقع تسييد الثقافة الغربية على ثقافات الأمم (وخاصة الأمة الإسلامية ذات الثقافة المتميزة العميقة الجذور) والتي هي طابق هذه المنطقة المتميزة من جبل طارق إلى حدود الصين .. الهدف هو سوق المسلمين إلى ولاء وعبودية للحضارة الغربية لتحل قيم الغرب محل القيم الإسلامية.

* * *

إن أخطر ما يشكل قواعد الفكر الغربي نظرية الخطيئة وقد قامت من أجلها معارك خطيرة في عصر النهضة وأنشأت كثيراً من المدارس الملحدة وقد تغلغل الصراع من أجلها في الأدب الغربي برمته وفي الفلسفات الغربية وفي كثير من النظريات السياسية الأوروبية، بينما يقرر الإسلام عدم وراثة الخطيئة، لأن كل امرئ بما كسب رهين.

* * *

٣٦- موقف الغرب من الإسلام

لا يزال التاريخ يذكر صيحة غلادستون في عهد الملكة فيكتوريا وهو يمسك بيده المصحف (القرآن) ويقول لأعضاء مجلس العموم: «إنه ما دام هذا الكتاب باقياً في أيدي المسلمين فلن يقر لنا قرار في تلك البلاد».

* * *

حكمت محاكم التفتيش منذ نشأتها (١٤٨١-١٥٠٨) على ٣٤٠ ألف نسمة باسم مقدسات المسيحية منهم مائة ألف أحرقوا بالنار أحياء.

حاربت الكنيسة كروية الأرض وكشف أمريكا والحقن تحت الجلد وتخدير النساء عند الولادة مستندة إلى نصوص من الكتب المقدسة.

يقول دراير: إن العرب فتحوا من مملكة العلم والفلسفة ما أتوا على حدوده أسرع مما أتوا على حدود مملكة الرومانيين.

العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استعادة الدين.

* * *

المسيحية في أوروبا لم تقبل مزاحمة الإسلام لها. والمسلمون يجب أن ينتهوا عند جبال البرنية، وينتهوا من أوروبا بالهجرة أو التنصير وقد وضعت لذلك سياسة بالغةالعنف.

* * *

تقول مدام سنن بوانت: أتهم المدنية الغربية بأنها قصرت عند القيام بالمهمة التي تزعم أنها ألقيت على عاتقها، أعني نشر تعاليم الإنسانية وتعميمها؛ لقد أراد الغرب أن يوحد العالم ولكن تحت سلطانه ولجأ في ذلك إلى القوة الغاشمة ولم يرع غير

مصلحته وحدها، وأنكر فضل الشرق وحجب فضل العرب وعبث بقواعد الحضارة الحقيقية.

* * *

قال هوبرت سبنسر للشيخ محمد عبده ١٣٢١هـ :

«مُحي الحق من عقول أهل أوروبا واستحوذت عليها الأفكار المادية فذهبت الفضيلة وهذه الأفكار المادية ظهرت في اللاتين .. فأفسدت الأخلاق وأضعفت الفضيلة، ثم سرت عدواها فيهم إلى الإنجليز فهم الآن يرجعون القهقرى بذلك وسنرى هذه الأمم يخبط بعضها ببعض وتنتهي إلى حرب طاحنة.

* * *

٢٧- حول تصحيح الطريق وتصفية الخلافات

تقوم الثقافة الإسلامية على مفهوم واضح هو أن يكون العلم وسيلة إلى معرفة الله تبارك وتعالى والإيمان به.

وإن الإنسان له مهمة أساسية في الحياة هي العمل على تعمير الحياة وبنائها وإقامة المجتمع الرباني وأن يكون سعيه أخلاقي الوجهة مع الإيمان بمسئولية الإنسان الفردية والتزامه الأخلاقي.

وقد دعا الإسلام إلى طلب العلم بنوعيه المادي والديني، على نحو يحرر الإنسان من الخوف ومن التبعية أو العبودية لغير الله تعالى وإقامة قوة الرقابة الداخلية (المسماة بالضمير).

فدعوة الإسلام أساساً إلى إصلاح الدنيا وإقامة منهجها على حدود الله .. وليس إلى ترك الدنيا والزهد فيها والانسحاب منها.

ومفهوم أهل السنّة والجماعة يقوم على أساس المفهوم الذي قدمته المنابع الأولى (القرآن والسنّة) بعيداً عن مفاهيم الفلسفة والاعتزال والكلام والتصوف الفلسفي وقيام العقل على ضوء الوحي وأن تتطابق الوسائل والغايات وترتبط الفكر بالتطبيق.

* * *

إن إحداث التغيير يجب أن يبدأ من نقطة التماس منهج الله ببناء الفرد، مقدم لبناء الأسرة، وصولاً إلى بناء المجتمع.

إن تغيير الواقع هدف أصيل من أهداف القرآن الكريم .. وقد رسم القرآن منهجاً متكاملاً في هذا الصدد، ووجه الرسول ﷺ إليه المسلمين إلى الأسلوب الأمثل.

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾.

إن ما تحتاج إليه الدعوة الإسلامية في سعيها إلى التغيير عقيدة ربانية، وحقائق علمية ونفسية تبني الفرد .. وتشريعات تبني الجماعة .. وأولويات ترسم خطوات الدعوة.

وقد وضع الإسلام قواعد الاختلاف في الرأي وضوابطه على نحو تتلاشى معه حدة التناحر، والإسلام بطبيعة أطره الواسعة المرنة يتسع للاختلافات كلها التي لا تهدد وحدة الأمة.

وقد عرف قديماً أن الخلاف في الأمور الفرعية لا ضير منه، بل إنه رحمة، على أن يكون لهذا الاختلاف ضوابط وحدود .. وإذا وقع الخلاف رد الأمر إلى القرآن والسنّة، وأن تكون الحقيقة وحدها هي هدف المختلفين.

* * *

٢٨- حول مفاهيم التوحيد الخالص

إن هدف الفلسفات المادية في هذا العصر هو تقويض دعائم الاعتقاد بوجود إله واحد بغض النظر عن البديل المقترح .. وكانت دعوة هذه المذاهب إلى ألوهية المادة أو ألوهية الإنسان أو اتخاذ الغريزة محوراً لتفسير الوجود.

ولقد جاء الإسلام لتصحيح فكرة مبثوثة في كثير من كتابات المفكرين الماديين وهو أن التوحيد موجود في كل الديانات وليس مما تفرد به الإسلام وهذا تعميم خاطئ .. فإن التوحيد الذي جاء به الإسلام هو إسلام الوجه لله وحده دون تعدد أو شرك .. فالتوحيد الإسلامي هو وحده التوحيد الذي خلصَ من شوائب الشرك وإنه لأول مرة يقدم مفهوم الألوهية المحرر تماماً من التجسيم حتى يمكن القول أن الإسلام هو الذي قاد البشرية لأول مرة إلى التحرر من التجسيم ورفعها إلى التجريد.

ويقرر الإسلام أن الله تبارك وتعالى مستقل عن الكون فهو خالق والكون مخلوق، وفكرة الحلول والاتحاد وغيرها تتناقض مع مفهوم الإسلام في وحدانية الله وتنزهه عن الخلق.

* * *

- ويقرر الإسلام الجمع بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية .. أما توحيد الربوبية فهو توحيد الله بأفعاله مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة وتدبير الأمور وإنزال الغيث .. (وهذا النوع أقر به المشركون).

أما توحيد الألوهية فهو توحيد الله بأفعال العباد التي يقيدهم بها وشرعها لهم مثل: الدعاء والالتجاء إليه والتوكل عليه وقبول حكمه .. هذا النوع من التوحيد هو الذي جحده الكفار وكانت الخصومة فيه بينهم وبين الرسل وأقوامهم من لدن نوح

إلى عصر نبينا محمد ﷺ فكانوا يدعون أصنامهم ويتقربون إليها.

فالتوحيد الخالص هو إفراد الله تبارك وتعالى بالوحدانية والربوبية والعبادة ونفي كل شريك. كذلك دعا الإسلام إلى: توحيد الأسماء والصفات. ومعناه الإيمان بكل ما ورد في القرآن والأحاديث من صفات الله (تبارك وتعالى) التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله عليه الصلاة والسلام.

وقد دعا الإسلام إلى الحذر من الشرك: الشرك الجلي والشرك الخفي .. أما الشرك الجلي فهو الشرك الأكبر وهو دعوة غير الله مع الله تبارك وتعالى .. أما الشرك الخفي فهو الرياء (المسمى بالشرك الأصغر) .. قال ﷺ : «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر .. قالوا: ما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء .. يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء».

* * *

وقد دعانا الله تبارك وتعالى أن نتفكر في خلق الله فهو منطلق الفهم واليقين .. قال عليه الصلاة والسلام: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا».

وقد حدد الإسلام مفهوماً هو مفهوم أهل السنّة والجماعة في التوحيد، قوامه: النقل والعقل .. أما النقل فهو المتمثل في نصوص القرآن وفي صحيح أقوال النبي. وأما العقل فهو المعتمد على التأمل والنظر وعلى مناهج البرهنة والاستدلال.

وهذا المنهج يختلف عن منهج المتكلمين والفلاسفة والمتصوفة بعيداً عن تأويل النصوص أو اعتماد منهج الرياضة الروحية وحدها أو منهج العقل وحده.

* * *

وبالجملة فإن التوحيد الذي جاء به الإسلام يختلف عن التوحيد الذي عرفته

الثقافات القديمة سواء من المصريين القدماء أو الأشوريين أو البابليين أو العرب والهنود والصين واليونان.

وأبرز وجوه الاختلاف يتركز في تصور الفارق بين الآلهة التي يعبدونها وبين الله تبارك وتعالى فالحق تبارك وتعالى في عقيدة الإسلام التي نزل بها القرآن وجاء بها محمد ﷺ «صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» فهو لا يلابس البشرية ولا شيئاً من الخلائق، وكذلك فإن البشرية لا تلابسه، لا في وحدة ولا حلول ولا إتحاد ولا فيض ولا انبثاق ولا بأي صورة من الصور لا في الواقع ولا في التصور .. فهو سبحانه وتعالى لا يقاس بصورة إنسانية، ولا يؤله بشر يرفع إلى مقامه ولا باسم التعدد في الطبيعة (لاهوتية وناسوتية) ولا بأية صورة أو صفة.

إن الله تبارك وتعالى هو أول الأمر ونهايته، وهو مطلق الحركة في عالم الأكوان والحياة، وكل شيء يتصل به صلة العبودية، فالله هو الرب، والإنسان هو العبد وصلة ارتباط دائم، ومن الإنسان الدعاء، ومن الله الاستجابة ومن الإنسان التقوى والشكر ومن الله تبارك وتعالى الرحمة والعدل.

* * *

«إن سبيلنا الحق للتعرف على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ليس علم أصول الكلام في نزوعه إلى الفلسفة والاصطلاحات العلمية المعقدة التي تشتت الذهن وتفرق القلب .. ولا ذوق أصحاب الوجد في انقطاعه عن منهج العلم، وإنما سبيله هو العلم الصحيح الثابت عن الكتاب والسنّة والموصل إلى العمل الذي تتحرك به الجوارح منفعلة بوجدان علم عن ذات ربه وصفاته ما حرّكته بالخشية والرهبة والحب وكمال الخضوع والذل.

والتوحيد أن يكون العبد يريد الله بحركاته كلها وأعماله كلها .. لا يريد بها إلا الله وأن يكون بعقله وقلبه ونفسه قاصداً إلى الله بجميع أمره، لا يحب مدح أحد ولا ثنائه ولا يفرح بعمله إذا اطلع عليه المطلعون وإذا أثنى عليه أحد حمد الله على ستره عليه» حسن البنا.

٣٩- حول مفاهيم العبودية لله تبارك وتعالى

العبودية لله تبارك وتعالى هي ملاك الأمر كله، فعبودية الإنسان لله كما يتصورها الإسلام هي حريته الذاتية واستقلاله عن كل ما غير الله في الكون والمجتمع.

وقوام العبودية الثقة بالله تبارك وتعالى التي تجعل المسلم يتقبل الأمور بنفس هادئة .. أما غير المؤمن فإنه عندما تحيط به الأزمات يتحطم. أما الإنسان المؤمن فإنه مهما ادلهمت الظلمات فإن نور الله يضيء له الطريق ويفتح أمامه أبواب الأمل، فهو يؤمن يقيناً بأن هناك مخرجاً سوف يهديه الله إليه إذا رفع أكف الضراعة ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ وأن مع العسر يسراً ومع الظلمة النور، ولا يأس مطلقاً من رحمة الله، ومن هنا تمر به الغمرات ثم تنجلي، فهي لا تحطمه ولا تقتله ولا تمزقه من الداخل ولكن تزيده قوة ولمعاناً. أما الإنسان المادي المجرد من الإيمان بالله فإنه إنسان خائف مذعور يخشى الغيب ويخاف الغد ويرتعد أمام أصحاب النفوذ والسلطان.

* * *

فالعقيدة التي قوامها الإيمان بالله، تنظم العقل والشعور والوجدان، هي قوة تفوق كل قوة، حيث تعطي المسلم القدرة على تقبل أمر الله والتطلع إلى نصره، يقبل ما يقع ويتوجه إلى الله ليخرجه من الأزمة، ويرفع عنه الضر.

* * *

إن أكبر أخطاء الماديين القول بأن الإنسان هو المحور الذي تدور حوله المعاني والواقع أن الحق تبارك وتعالى هو محور كل الأمور.

ولا ريب أن النظرة البشرية محدودة بما ترى وبالمحسوس والمادة .. بينما

النظرة الربانية واسعة وشاملة وتعم عالم النفس والروح وما وراء المادة.

ومن هنا فإن المنظومة الإسلامية واسعة الأفق، متكاملة في أبعادها الربانية، روحية ومادية، تجمع النفس والبدن والدنيا والآخرة.

* * *

ورسالة الله تبارك وتعالى إلى الإنسان أن يلقي بقياده إلى خالقه، وأن يسلم نفسه لربه، فإذا ما اعتنق مبدأ السلام مع الله كان ذلك كله سلاماً بالنسبة إلى نفسه: أي رضا وغبطة وسلاماً بالنسبة إلى الخلق.

وقد قيد الله تبارك وتعالى العلم بأن يكون باسم الله ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ وهذا هو قوام الحضارة الإسلامية، أما الحضارة الغربية فقد نشأت باسم العلم، ومن أجل ذلك سخرت العلم في الدمار والاستعمار وإشقاء الإنسان.

* * *

إن العمل الواحد يعمله الشخص الواحد في وقت ما، فيكون دنيوياً ويعمله هو نفسه في وقت آخر فيكون عبادة، فإذا ما أراد بعمله وجه الله كان العمل عبادة مهما كان دنيوياً في مظهره.

* * *

إن إفراد الله تبارك وتعالى بالعبودية هو في الحقيقة والواقع رفض للعبودية لأي كائن سواه في الأرض أو في السماء، وتحرر مأمون من سلطات النفس الأمّارة بالسوء.

* * *

إن عبودية الإنسان لله وحده هي طريق حريته وخلاصه من القيود الآثمة ولن تكون له حرية عزيزة مجيدة بدونها أبداً.

إن أخطر أنواع العبودية المعاصرة هي عبودية الإنسان لأهوائه وشهواته وعبودية الأفكار الجاهزة الوافدة المدفوعة بوسائل الدعاية المغرية.

* * *

إن من أبرز الحقائق أن التوحيد (الذي جاء به الإسلام) ليس وليد التطور العقلي فقد دأب الباحثون على تصور نشأة العقيدة بأن التوحيد هو آخر مراحل تطور الألوهية وهم يظنون - وبعض الظن إثم - أن العقل البشري ظل يترقي حتى وصل من تعدد الآلهة وعبادة قوى الطبيعة إلى مرحلة التوحيد، ويرى البعض أن أخناتون هو أول داعية للتوحيد .. ومن خطأ الاعتقاد أن العقيدة بدأت بعبادة قوى الطبيعة بالرمز عليها في صورة تماثيل أو أنصاب .. وانتهت إلى وحدة أخناتون البشرية.

والحقيقة أن البشرية بدأت موحدة منذ يومها الأول وبآدم أبي البشر ونوح أول الأنبياء ثم انحرفت عن الطريق السوي.

* * *

ومما يردده الباحثون أن التوحيد يكاد يكون عاماً في جميع الثقافات القديمة .. ولكن التوحيد الخالص لم يعرفه إلا الإسلام الذي أنكر جميع أنواع الشرك والتعدد ولم يجعل بين الله تبارك وتعالى وبين الإنسان حائلاً أو وسيطاً .. ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ .

يقول برنارد شو في قصة الزنجية تبحث عن الله: إن محمداً خطا خطوة كبيرة إلى الأمام عندما أحل ديانة التوحيد محل عبادة الأصنام ودعا إلى إعادة النظر فيما أحاط بالأديان السابقة من الشوائب، وإلى التعرف على الجوهر الصحيح منها. إن الوصية الثانية من وصايا الله المذكورة في التوراة والتي تقول: لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة من الصور ولا تسجد لها ولا تعبدها، هذه الوصية تجد احتراماً من المسلمين أكثر مما تجد من المسيحيين» ا.هـ.

إن مفهوم التوحيد الذي يقدمه الإسلام والذي ما يزال يتطلع إليه في العصر الحديث هو المفهوم القرآني الخالص على نحو ما عرف في الصدر الأول من المؤمنين بالإسلام بعيداً عن الخوض في الفلسفات والأساليب المنطقية التي درج عليها المتكلمون وبعيداً عن المصطلحات الفلسفية المعقدة والكلمات الفنية الجامدة التي تكدّ الذهن وتتعب العقل، وعلينا استقاء العقيدة من النبع الصافي الذي لا لبس فيه ولا غموض.

* * *

إن أخطر ما دعا إليه الإسلام (خروجاً من دائرة التجسيم) هي تنزية الله تبارك وتعالى عن مشابهة الحوادث، ونفي التمثيل والتشبيه والتكييف ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ، ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ .

ولقد كان على البشرية أن تؤمن بأنه لابد من قوة علوية تشرف على الإنسان وتمنحه الأسلوب المتوازن الشامل الذي يتعامل به مع جهازه الإنساني الضعيف.

ولقد كان على البشرية أن تؤمن بأن الله تبارك وتعالى يمسك هذا النظام المترابط في كل لحظة، وأنه لو تخلى عنه لتلاشى وانتهى.

وليس صحيحاً ما تقوله الفلسفات من أنه خلقه وأصبح يدير نفسه ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا ﴾ .

* * *

إن خطأ الإنسان الأساسي هو مقايسة الأمور على العقل المادي الحسي وعلى ما اعتاده في أمور الكون .. هذه القوانين الظاهرة في الكون هي قوانين المادة فقط في محدوديتها وعجزها وتغيرها وإن هناك قوانين أخرى لم يطلع عليها الإنسان تخالف ما نحن فيه وتنطبق على غير المادة.

* * *

٣٠- مجموعة من الحقائق

أولاً: الأخوة الإسلامية:

استهدف الإسلام إقامة مجتمع رباني إنساني فيه عالمية الإسلام وشمول شريعته التي صاغها الحق تبارك وتعالى وفق منطق الحقيقة الكونية القائمة على التوافق والانسجام.

وهذا هو الخطر الذي عمل النفوذ الأجنبي للتشكيك فيه بإقامة مفاهيم خادعة قوامها الإقليمية، والمادية، والإباحية وجرت محاولة تفسير الإسلام قومياً وماركسياً وديمقراطياً في سبيل إيجاد شعوبية، وعلمانية.

لقد ألغى الإسلام أفضلية القبيلة والعنصر والدم، بكل أبعادها وقلبها رأساً على عقب، وأظهر صورة جديدة، هي (الأخوة الإسلامية) ولكن قوى النفوذ الأجنبي تحاول تجديد إحياء الصراع بين المسلمين، وإحياء القبليات، وإثارة العنصريات، وإحياء الفرعونية والفينيقية والبربرية.

* * *

ثانياً: منهج الحِجاج الإسلامي:

كان هدم الوحدة الفكرية الإسلامية هو هدف النفوذ الاستعماري .. وقد أمكن الوصول إلى قلب مفهوم الحجاج الإسلامي، فقد كان البيان الإسلامي هو السلاح المشهور في مواجهة حجج أصحاب الديانات .. وقد تقلص هذا المنهج في دراسات الجامعات الإسلامية (الأزهر والزيتونة والقرويين) بحيث لا يمكن للعالم المسلم أن يسترجع النظر في كتب السلف الكبرى وذلك في محاولة للقضاء على القدرة الذهنية الإسلامية في التمييز بين الصواب والخطأ في المناظرة مثل كتب الآمدي التي تضع قاعدة في سطر ثم يجادل عنها في أربعين

صفحة وهي الخاصية التي كانت تفزع المستشرقين والمبشرين، والتي تحول دون وصول شبهاتهم التي يقدمونها في كتب (إذا قال لك المسلم كذا فقل له كذا).

ولقد كان من هم النفوذ الأجنبي القضاء على هذه العارضة لينفتح أمامهم الطريق إلى عقول غضة ليس لديها من العمق الإسلامي خلفية تمكن من دحر الشبهة ورد المفترى، ولا ريب أن القضاء على هذه الظاهرة خطير المدى، ولابد من العودة مرة أخرى إلى كتب الحجاج الإسلامي والقضاء على نظام الملخصات والمذكرات الساذجة البسيطة، لبناء القدرة الأزهرية على الدفاع فإن التعليم القائم يحول دون الاتصال بكتب السلف بهدف إعجاز علماء الإسلام عن النظر الإسلامي.

* * *

ثالثا - حول السنة النبوية

السنة هي البوتقة الناصعة التي انصهرت فيها كل الثقافات والنِّحَل والدعوات التي طرحت في فلك الفكر الإسلام فاستصفتها السنّة وحررتها من شبهاتها وأخذت عصارتها الطيبة فضمتها إلى كيانها .. فالسنّة هي النهر الكبير التي تكون المذاهب والفرق روافد له .. وقد التقت السنّة بالكلام كما التقت بالتصوف، والتشيع، وصهرت خير ما في ذلك كله في مضمونها الجامع الأصيل الذي يستمد حقيقته ووجوده من الفهم النبوي للقرآن.

* * *

كشف محمد أسد (ليوبولد فايس) السر في محاربة قوى الغزو الثقافي والتغريب للسنّة فقال: إن الهدف هو إسقاطها حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية لحياة رسول الله والمسلمين وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته ويقول: لكي يستطيع نقدة الحديث المزيفون أن يبرروا قصورهم فإنهم يحاولون أن يزيلوا ضرورة اتباع السنّة، لأنهم إذا فعلوا ذلك كان بإمكانهم حينئذ أن يتناولوا تعاليم القرآن الكريم كما يشاءون على أوجه من التفكير السطحي، أي حسب ميول كل واحد منهم وطريقة تفكيره هو بذلك ينتهي إلى المنزلة الممتازة مع أنه نظام خلقي وعملي ونظام شخصي واجتماعي إلى التهافت والاندثار.

* * *

رابعا - حول مفاهيم الفن

ظن بعض العلماء أن الإسلام حرّم التماثيل والصور؛ لأن المسلمين كانوا قريبي عهد بالوثنية فأراد أن يقطع عنهم ذريعة القربى من هذه الوثنية وأن يخلص خيالهم من صورة اللات والعزّى.

والواقع أن للإسلام ملحظاً أدق من هذا وهو أن الإسلام عمل على تحرير النفس الإنسانية من التعلق بالأشخاص الفانين ومن تعظيم قبورهم «لا تعظموني كما كانت الأمم تعظم ملوكها ولا تجعلوا قبري وثناً».

والمقصود هو تعلق القلب بالله الواحد القهّار، ونفى فكرة أن يكون هناك بشر يتعلق به الناس على جهة الإكبار أو الفناء في هذه الشخصيات ففي بعض البلاد تماثيل المقصود بها صرف قلوب العامة إلى التعلق بزعمائها وفناء شخصيتهم فيها، وهذه هي عبادة الفرد .. هذا هو الملحظ الذي لم ينبه إليه بعض العلماء مما يترتب عليه إلغاء الذاتية الإنسانية وإحداث فراغ بين الذات الإنسانية وخالقها .. فلا يتعلق به وحده.

* * *

خامسا - حول مفاهيم اللغة العربية

إن منهج البحث (الأرجانون) لأي فكر لابد أن يستند إلى خصائص اللغة، ولذلك فإن منهج البحث الغربي مستند إلى خصائص لغة أو لغات غير العربية، ولكل لغة منهجها الفكري القائم على معانيها ومضامنها، وكما هاجم المسلمون المنهج الأرسطي وقالوا إنه مستند إلى خصائص اللغة اليونانية التي تخالف اللغة العربية فكذلك الأمر بالنسبة للمنهج الغربي اليوم، ذلك أن للفكر الإسلامي منهج البحث الخاص به والمستمد من اللغة العربية أولاً.

وقد اعتقد المسلمون بحق أن لغتهم جزء من حقيقة الإسلام، لأنها كانت ترجماناً لوحي الله ولغة الكتابة ومعجزة لرسوله ولساناً لدعوته، ثم هذبها النبي الكريم بحديثه، ونشرها الدين بانتشاره، وخلدها القرآن بخلوده، فالقرآن لا يسمى قرآناً إلا بها، والصلاة لا تكون صلاة إلا بها.

* * *

٣١ - ضوء على الصحوة
(١)

نحن نستطيع أن نقرر صادقين أن القرن الخامس عشر الذي نعيش العقد الأول منه قد خطا بالمسلمين خطوات بنّاءة وجادة نحو الأصالة والعودة إلى المنابع، بالرغم من كل المعوقات والتحديات التي يواجهونها .. يظهر هذا أساساً في تلك الأعمال الجديدة التي ظهرت من أجل بناء منهج إسلامي لعلم النفس، ومنهج إسلامي لعلم الاجتماع، ومنهج إسلامي للاقتصاد، ومنهج إسلامي للأدب، كل هذا يشير إلى أننا بدأنا ننطلق من مصادرنا وأصولنا الإسلامية الصحيحة التي تمثل جوهر فكرنا والتي لا تقبل أن تكون خاضعة للنفوذ الوافد.

ويقيني أن أشد الأخطار التي واجهت أمتنا هي الغزو الفكري الذي اعتبره الغرب بديلاً لحرب السيف وأسماه «حرب الكلمة» من أجل القضاء على القدرة الحقيقية لهذه الأمة في الحفاظ على ذاتيتها والتماس منهجها الأصيل. إن هدف الغزو الفكري والتعريب إنما يرمي إلى صهر هذه الأمة في بوتقة الأممية العالمية حتى تفقد طابعها الإسلامي القائم على منهج الله أساساً: هذا المنهج الرباني المصدر الإنساني الوجهة العالمي الطابع، الجامع بين الروح والمادة والقلب والعقل والدنيا والآخرة ..

إن الهدف الذي يطمع فيه أعداء الأمة الإسلامية هي وقوع شبابنا - عدة المستقبل - في محاذير التحلل والأهواء والمطامع الصغيرة .. وبذلك يفقد مثله الأعلى وهو ربانيته المتمثلة في حماية الوجود الحقيقي للأمة بالتماس الالتزام الخلقي من خلال العقيدة - لا خارجها - وفهم مهمة المسلم في الحياة سعياً في الأرض وعمراناً في نطاق الكسب الحلال والانتقال من الفردية إلى الغيرية ومن الانحصار في المطمع الخاص إلى أن يكون خادماً لمجتمعه باذلاً بالعطاء

والنصيحة في سبيل إسعاد الأمة كلها ولابد من قيام مفهوم الجهاد في سبيل الله بمعناه الواسع من المرابطة في الثغور والقدرة على الردع وحماية الزمار من أي عدوان.

إن الحضارة الإسلامية يجب أن تجدد شبابها بمفهوم القرآن والسنّة لتؤدي دورها في جولة جديدة بعد أن قدمت للإنسانية لمدة ألف عام شعلة النور والإيمان، واليوم والحضارة الغربية تنحدر إلى الغروب لنفس الأسباب التي انحدرت إليها حضارة الروم والفرس والفراعنة وهي الانحراف عن منهج الله وغياب البعد الأخلاقي فإن الحضارة الإسلامية مسئولة أن تقدم نفسها للعالم من جديد ..

إن أسباب سقوط الحضارات قد حدده المؤرخون: وهو ينصب على الترف ثم التحلل من الأخلاق الكريمة.

إن أي إصلاح اجتماعي لا يجدي بدون الأخلاق، لابد أن نتمسك بقيمنا المعنوية والأخلاقية، في مواجهة ارتفاع موجة الاستمتاع المادي فهذه هى التي دمرت مجتمعات الاستهلاك.

* * *

٣٢ - الدخول في دين الله
(٢)

إن القنبلة التي فجرها الدكتور/ عبد الله أليسون بإعلان إسلامه في المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي (المحرم ١٤٠٦هـ) مازال دويها يهز معاقل الاستشراق والتبشير ويؤكد أن ما يعملاه في سنوات طويلة يمكن أن يسقط في لحظات. فإن إسلام هذا العالم الذي يرأس قسم الهندسة الالكترونية بجامعة لندن يؤكد صدق عطاء الإسلام لمن يصل إليه فهذا رجل عالم من علماء العلاج النفساني والروحي جاء ومعه بحث حول النوم والموت والعلاقة بينهما في ضوء الآية القرآنية:

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) .

وبعد أن ألقى بحثه جلس يشارك في أعمال المؤتمر ويستمع إلى الأبحاث وتملكه الانبهار وازداد يقينه بأن هذا هو الدين الحق.

ومضى يستفسر ويسأل عن بعض التفصيلات، وأسر أمراً لم يعرفه أحد حتى جاءت الجلسة الخاتمة فطلب الكلمة وألقى قنبلته: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» ..

بينما كانت تكبيرات المسلمين من حوله ترتفع والدموع تنهمر خشوعاً ورهبة.

وقال: «إنني أحسست بالسعادة والغبطة ..» وكشف عن تجربته قال: إنه من خلال اهتماماتي بعلم النفس وعلم ما وراء النفس، وتعرفت على الأديان فدرست الهندوسية والبوذية وغيرها ثم أردت أن أتعرف على الإسلام فعرفته وقارنته بما درسته من أديان وعقائد ومن خلال مؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنّة المطهرة وجدت أن الفارق كبير جداً فأيقنت حقيقة أن الإسلام هو أكثر

الأديان تمشياً مع فطرتي وسلوكي الذي نشأت عليه فقد عشت حياتي لا أشرب الخمر ولا آكل لحم الخنزير وكنت أوقن في قرارة نفسي أن هناك إلهاً واحداً مهيمناً ومسيطراً على هذا الوجود وأنه هو الخالق وذلك عندما تعرفت على الإسلام وجدت أنه لا يتناقض مع العقل أو العلم فآمنت بأنه الدين المرسل من الإله الواحد الأحد وشهدت بالحق .. وقد تملكني في اللحظة التي نطقت بالشهادتين شعور عجيب لا أستطيع وصفه هو مزيج من الشعور بالراحة والرضا والفرحة والارتياح».

ولا شك أن إسلام الدكتور أليسون هو إيقاع جديد للظاهرة التي مضى عليها إتيان دينيه وخالد شلدريك واللورد هدلي من قبل وفي القريب موريس بوكاي وجارودي وهو إيقاظ جديد للغرب وعلمائه بأنهم لو فهموا الإسلام لدخلوا فيه جميعاً كما قال أليسون: «إن الإسلام كما جاء في القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة يتضمن حقائق علمية لا تتعارض مع علوم اليوم وأعتقد أن العالم الغربي كله لا يفهم الإسلام بهذا الفهم وعدد كبير من زملائي العلماء الغربيين لو فهموا الإسلام لدخلوا فيه جميعاً فلا ننسى أن معظم الأديان التي يدين بها الغرب إنما جاءت من الشرق وأن الحقائق التي جاءت في القرآن الكريم والسنّة النبوية من قبل ألف وأربعمائة عام والتي أثبتها العلم الحديث الآن تؤكد أن ذلك لم يكن من عند بشر وتؤكد أن محمداً هو رسول الله وأن البشرية التي هي في مأزق اليوم عندما يقدم لها الإسلام ستجد أنها تسعد بتكامل الروح والمادة والدنيا والآخرة»..

* * *

٣٣- وأخيرا اعترفت بالخطأ

(٣)

وأخيراً: أعلنت الكنيسة الكاثوليكية أنها تعترف بخطئها مع جاليليو بعد ٣٥٢ سنة وكانت قد أدانته حين ذكر أن الأرض تدور حول الشمس مؤيداً رأى كوبرنكوس ومخالفاً بذلك ما ورد في سفر التكوين من أن الأرض هي مركز الكون وأن الشمس هي التي تدور حول الأرض وكان قد تراجع عن آرائه العلمية عام ١٦٣٣ والمعروف أن علماء المسلمين هم الذين أعلنوا هذا المفهوم العلمي وأخذه منهم علماء أوروبا بعد أن تلقوا دراساتهم في جامعات قرطبة وبلنسية.

والمعروف أن جاليليو تكلم أمام محكمة من القساوسة مطالباً بأن يستبقي من حياته بضع سنين حتى سنة ١٦٤٨ فأنكر كل نظرياته ومع ذلك كان يتمتم وهم يقتادونه خارج قاعة المحكمة (ومع ذلك فهي تدور) وهو يعني أن الأجرام تدور حول نفسها وحول الشمس ثم أعلن كوبرنيق (١٥٤٣) النظرية الإسلامية وهي أن الشمس مركز الكون وقد وصل إليها كوبرنيق أو كوبرنكوس على أسس نظريات عالم الطبيعة الحسن بن الهيثم والفلكيين المسلمين الكثيرين في حين حرمت الكنيسة نشر كتاب كوبرنيق سنة ١٦٣٦.

وواضح أن الكنيسة كانت تقف أمام معطيات العلم الإسلامي الذي حمل لوائه علماء الغرب وكان للحرب التي شنتها تحت اسم محاكم التفتيش هدف خفي هو معارضة مفاهيم الإسلام التي جاءت مناقضة لسفر التكوين .. وكان الغربيون الذين حضروا إلى عالم الإسلام في الحروب الصليبية قد عادوا يلهجون بعدل الإسلام وعدل صلاح الدين فأزعج ذلك الكنيسة إزعاجا شديداً .. ومن ثم بدأ الرهبان الذين عرفوا خطر الإسلام على دينهم وعلى المجتمع الأوروبي حملات التشكيك وإثارة الشبهات. ومن ذلك إنكار فضل المسلمين على العلم التجريبي

وعلى العلوم الاجتماعية والنفسية والأخلاقية والاقتصادية، فقد نقلوا عشرات النظريات من تراث المسلمين وأنكروا نسبتها إليهم وادعوا أنها لهم، ومن ذلك أنهم حجبوا هذا التراث حتى لا تكتشف سرقاتهم بعد أن سرقوا التراث نفسه من مساجدنا وحملوه إلى بلادهم فنقلوا أكثر من مليون مجلد ، وقد حجبوا النظام الإسلامي في بلاده وفرضوا نظامهم، في التعليم والقانون والمجتمع والاقتصاد.

وكانت مؤامرة الصمت على فضل المسلمين في مجال العلم قضية كبرى، ما تزال مستمرة إلى اليوم، وما دوائر المعارف التي كتبوا فيها عن الإسلام والقرآن والنبي ما قالوا من دعاويهم الباطلة إلا علامة على ذلك، ومازال إصرارهم قائماً بالرغم من توجيه مفكري الإسلام لأخطائهم في إنكارهم لنبوة محمد ﷺ ووصفهم القرآن بأنه من كلام محمد.

ولما وجدوا أن دائرة المعارف الإسلامية التي ترجمت إلى العربية منذ خمسين عاماً قد كشف زيفها، عادوا يكتبون موسوعة جديدة يدعون فيها التسامح ويستكتبون أسماء عربية من أتباعهم المغربين لخداع جديد والله من ورائهم محيط..

* * *

٣٤ - محاولة فاشلة

(٤)

عشرات الكتب صدرت في الغرب تحت اسم التعرف على الصحوة الإسلامية أغلب هذه الكتب كتبت من وجهة نظر إما غربية مستعلية بالجنس الأبيض الذي يدعون أنه لا يقهر .. سيد العالم وباني الحضارة، وإما مسيحية تصدر عن خلاف عميق بين مفهوم المسيحية ومفهوم الإسلام في أصول عامة أو من وجهة نظر اقتصادية تقوم على أساس العلاقات التي تربط الغرب بالعالم الإسلامي من حيث البترول أو المصالح الاستراتيجية.

وهذه الكتب في مجموعها تبدو وكأنها تنكر حق المسلمين في أن تكون لهم صحوة واستفاقة بعد هذه السنوات الطويلة من الاحتلال وسيطرة النفوذ الغربي والحقيقة أن اليقظة الإسلامية بدأت منذ وقت بعيد وأن المقاومة العربية الإسلامية للنفوذ الأجنبي لم تتوقف وقد أكد كثير من المنصفين أنها خرجت من عباءة الإسلام وأن العرب والمسلمين قاوموا النفوذ الغربي والاستعمار من خلال مفهوم (من مات دون أرضه فهو شهيدا) وأن ما يسمى بالحركات الوطنية وحركات المقاومة هي إسلامية الجذور والمصدر، ومفهوم الإسلام هو الذي غذاها ودفع الشهداء والمجاهدين إلى ساحات المقاومة.

ولذلك فليس من المستغرب أن تدخل مرحلة أخرى بعد مرحلة المقاومة، هي مرحلة البناء والإنشاء والتكوين للمجتمع الإسلامي هذه المرحلة التي نعيشها الآن والتي أطلق عليها مرحلة الصحوة. إن هذه الأبحاث التي كتبها الغربيون لا تتسم بالعلمية ولا بالموضوعية وإن استخدمت مظاهر البحث العلمي ولكنها في صميمها تحاول أن تشكك في قدرة العرب والمسلمين على امتلاك إرادتهم وبناء مجتمعهم المتميز الذي لا يقبل من الحضارة الغربية كل ما تعرضه وإنما يأخذ

منها ما يجده مناسباً لجوهرها ولمنهجها دون أن تنصهر في أسلوب العيش العربي، لأن لها منهجها الأصيل السابق لأيدلوجيات الغرب والأكثر أصالة وسماحة وسعة أفق.

كذلك فإن هناك الأبحاث التي كتبها بعض المستشرقين للتعرف على الإسلام نفسه في عالم الإسلام ونحن نؤكد أن واقع المسلمين اليوم لا يمثل مفهوم الإسلام ولا يتخذ تكأة لدراسة الإسلام كما أن الإسلام ليس مسئولاً عن هذا الواقع المتردي بما فيه من تخلف أو ضعف، والإسلام محجوب بالمسلمين كما قال الأستاذ الإمام محمد عبده.

ذلك أن المسلمين اليوم لا يطبقون الإسلام تطبيقاً كاملاً وهم في مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية خاضعون لمناهج وافدة فرضت عليهم ولا يزالون عاجزين عن التحرر منها.

ولن يصلح للمسلمين منطلق نهضتهم الحقيقية ووجهتهم الربانية إلا إذا أسلموا وجوههم لله وحرروا أنفسهم من التبعية للفكر الغربي الذي لم يحقق لهم خلال هذا القرن (الذي خضعوا فيه لقانون نابليون) أي قدر من امتلاك الإرادة أو تبليغ الرسالة.

* * *

٣٥ - هذه أمة اختارها الله لحمل رسالته (٥)

هذه الأمة شكلت على منهج الإسلام منذ أربعة عشر قرناً ولا يمكن أن يتم إصلاحها إلا من منطلق الإسلام ولا ينفعها أي منهج خاص في سبيل وصولها إلى امتلاك إرادتها فمنهجها هو القادر على التمكين لها.

ولقد كانت هذه الأمة تمر بالأزمات على مدى التاريخ فلا تجد لها مخرجاً منها إلا أن تعود إلى منهجها الرباني الأصيل وعندئذ يعود لها مجدها وعزها وهي لا تقيس أمورها ولا تحل قضاياها ولا تعالج مشاكلها إلا من منطلق هذا المنهج الرباني الذي رسم لها وسائل النصر وأسلوب التقدم .. فإذا عادت إلى أصالتها كشف الله تبارك وتعالى عنها أزمتها، إن هذه الأمة اختارها الله تبارك وتعالى لتكون خير أمة أخرجت للناس على شرط واضح: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ كذلك فإن هذه الأمة ستظل في رباط إلى يوم القيامة فهي حامية للبيضة، باذلة في سبيل ذلك من ذات نفسها وتلك مسئوليتها.

ولن يجتمع شمل هذه الأمة إلا عندما تلتقي على وحدة الفكر وتتخلص من التبعية للمذاهب الوافدة التي أراد النفوذ الأجنبي تغريبها والحيلولة دون امتلاك إرادتها، لقد جربت أمتنا الإسلامية كل المناهج والمذاهب الوافدة فلم تحقق لها أشواقها النفسية ولا مطامحها المعنوية، وقد رجعت اليوم إلى جوهر فكرها عندما وجدت أنه الطريق الوحيد.

وليس معنى هذا أنها ترفض الفكر العالمي ولكن معناه أن لديها رصيدها الأصيل وأن تفتحها على الفكر البشري له ضوابطه فهي لا تنغمس فيه بحيث تفقد ذاتيتها .. ولكنها تأخذ منه ما تحتاج إليه دون أن تنتقص من وجودها الحقيقي وما تأخذه فهي تحوله إلى (مواد خام) تشكلها في دائرة فكرها الأصيل

على النحو الذي تراه وبذلك تجمع بين أصالة المنابع ومعايشة العصر، كذلك فعلت كل الأمم التي واجهت حضارات قوية..

وأمامنا تجربة اليابان وغيرها، ولا تنصهر في الحضارات الكبرى إلا الأمم التي ليس لها تاريخ أو منهج فكر أو أسلوب أصيل من عقيدة ربانية، لقد أعطاها الإسلام المنهج الرباني المصدر الإنساني العالمي مطمح البشرية اليوم لتشكل غدها وعلى هذا دخل الإسلام قلوب أقطاب الفلسفات الغربية.

إن علينا أن نفهم القانون الأساسي للحركة والتطور والتقدم وهو قانون مترابط بين عنصر الثبات وعنصر الحركة، علينا أن نحذرهم من صيحة التغيير المندفعة حتى لا تقضي على الجوهر الثابت.

إن أخطر الدعوات اليوم هي الدعوة إلى نبذ الماضي والتاريخ والقديم والتراث .. وإن كل هذه المعاني في حضارتنا مرتبطة بالإسلام، إن الذين يهاجمون ميراث الإسلام إنما يحيون سموم الفلكلور والتراث الوثني القديم الذي قضى عليه الإسلام.

إن الأخذ من الغير مفيد بشرط المحافظة على أصالتنا وإن الأخذ لا يكون صحيحاً إلا إذا كان بإرادتنا الحرة وأن يشكل داخل دائرة فكرنا.

* * *

٣٦- العمل الحقيقي
(٦)

لابد أن يكون العمل الحقيقي المطروح في مطالع القرن الخامس عشر الهجري هو أسلمة العلوم والمناهج وأسلمة التكنولوجيا؛ ذلك أنه لابد أن يتسلح المسلمون إلى جانب فهمهم الأصيل للإسلام (عقيدة وشريعة وأخلاقاً) بهذا السلاح لكسر طوق التبعية والاستغلال وتسخير طاقات مواردهم لتنمية المجتمع المسلم والوطن المسلم وتحرير المسلمين من السيطرة العالمية.

كذلك لابد من إقامة نظرية جديدة للتعليم الإسلامي تختلف عن المنهج التغريبي المفروض الآن في عديد من البلاد الإسلامية حيث يقوم المنهج التربوي الأصيل على أساس بناء الفرد على منهج الإسلام وغرس الولاء للوطنية الإسلامية الجامعة وتحصينه ضد المؤامرات والمفاهيم الوافدة.

ولابد من وعي كامل إزاء محاولة إحياء الفرق القديمة والتيارات الضالة وخاصة الماسونية والبهائية والقاديانية والعلمانية والماركسية والوجودية ويجب أن يكون واضحاً أن منهج الإسلام الأصيل شيء مختلف عن التطبيق الإسلامي وأخطاء التطبيق لا تنسب إلى المنهج وإنما تنسب إلى المسلمين، وواقع المسلمين اليوم ليس حكماً على الإسلام.

لقد طرح الإسلام مفاهيم أصيلة ومقاييس صحيحة في مختلف قضايا الثقافة والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية تختلف اختلافاً واضحاً عن مفاهيم الغرب المطبقة الان، وهي مفاهيم قوامها التوحيد الخالص والرحمة والعدل والإخاء البشري، إننا أمة واعية فطنة غير خادعة ولا مخدوعة نستفيد من تجارب الآخرين ولا نخرج عن جوهر قيمنا الأساسية.

أما التجربة الحضارية المعاصرة فنحن لا نقبلها تماماً ولا نرفضها، ولكننا نقبل ما يصلح لإحياء حضارة الإسلام على أن يكون ما نقبله بمثابة مادة خاماً تدخل في إطار الإسلام بثوابته ومتغيراته وتتشكل داخله وفق مفهوم الإسلام للحضارة والمجتمع.

وليكن واضحاً أن محاولة بناء منهج فكري عربي على أساس النظرية العلمانية تخضع له الأجيال الجديدة قد سقط تماماً؛ لأنه منهج زائف ليس أصيلاً ولا مستمداً من تراث هذه الأمة أو ميراثها وإنما كان محاولة لتبرير الواقع وتقبله وطرح مفاهيم مسمومة ترمي إلى عزل مفهوم الإسلام الجامع القائم على أنه منهج حياة ونظام مجتمع وذلك لتوحيد الكفاح في وجه التغريب والاستسلام للاحتواء العالمي والأممي.

لابد من تأصيل القيم العليا التي قدمها لنا الإسلام والتي هي أساس وجودنا، لقد وفدت على البلاد الإسلامية دعوات ودعوات ولكنها لم تستطع أن تقهر الأصالة الإسلامية.

إن علينا امتلاك الإرادة ثم تحرير هذه الإرادة .. إن الالتزام الأخلاقي يعد الشرط الأساسي لتحقيق التطور والتكامل والتقدم في حياة المجتمع المسلم .. كذلك فإن علينا أن ننقذ الاقتصاد الإسلامي من براثن الربا وتغيير النظام القائم في المصارف إلى نظام المشاركة في أرباح القروض.

* * *

٣٧- الماضي والتاريخ
(أ)

أخطر الدعوات المسمومة الموجهة إلى اليقظة الإسلامية في هذه المرحلة: هي الدعوة إلى نبذ الماضي والتاريخ والقديم والتراث الإسلامي وإحياء الفلكلور (الذي هو سذاجة طفولة البشرية) والتراث الوثني القديم الذي قضى عليه الإسلام والاهتمام بإحياء تاريخ ما قبل الإسلام وإحياء شخصيات وثنية.

وهنا يجب التنبيه على التناقض الموغل في المغالطة فكيف أحيي عهداً قديماً في ظلمات العصور السابقة، ثم أنكر تاريخ الإسلام نفسه وما يتصل به من تراث (خلال أربعة عشر قرناً) وأيهما أحق بالتكريم والرعاية: عصر مرتبط بالوثنيات والماديات والأساطير والخرافات وما يتصل بعلم الأصنام هذا العصر الذي انقطع تاريخياً بظهور الإسلام وانقطع حضارياً بسقوط تقاليده ولغته وآدابه التي لا يوجد منها إلا قصاصات ذابلة، أم عصر الضياء والنور الذي عم البشرية كلها وانتقل خلال أقل من ثمانين عاماً بين حدود الصين إلى حدود نهر اللوار في فرنسا، هذا العصر المضيء خلال ألف سنة حين كانت أوروبا غارقة في ظلمات القرون الوسطى وكانت الأندلس المسلمة تعقد جامعات العلم التجريبي، وتعلم الفلك والطب والملاحة وكان فيها عبد الكريم الزهراوي يجري عمليات الجراحة في المخ ويستعمل (المرقّد) الذي نسميه اليوم (البنج).

هذه هي (السلفية) التي يصبون عليها السخريات، وهي العطاء الذي علّمه القرآن للمسلمين حين دعاهم إلى التجربة والنظر في ملكوت السموات والأرض وتقديم الدليل فأنشأ المنهج العلمي التجريبي ومنهج المعرفة ذي الجناحين (المادي والمعنوي) معاً، وكيف يرفض صناع الحضارة الإنسانية التي حررت البشرية من عبودية الصنم ومن عبودية الإنسان وحررت العقل البشري فجعلته يتجه من

الكون إلى المكون ومن الخلق إلى الخالق، إن هذا المسلم لا يرفض أبداً منجزات العلم والتكنولوجيا ولكنه يؤسلمها، يدخلها في دائرة فكره المسلم ليعاملها بمفهوم الإسلام، الذي يختلف تماماً عن مفهوم الغرب والذي يقوم أساساً على الإيمان بأن الأمور كلها والعلوم كلها من الله تبارك وتعالى وإليه، وأنها خالصة لوجهه وحده من أجل بناء حضارة ربانية وإنشاء مجتمع رباني، وهي للبشرية كلها أبيضها وأسودها، لا استعلاء عنصري فيها ولا تطاول على الخلق.

إننا نقبل من الغرب العلوم الطبيعية والرياضية ولا نقبل أسلوب العيش، لأن لنا ثقافتنا وعقيدتنا وقيمنا التي تختلف، وإننا نقبل التنظيمات ولا نقبل النظم، لأننا نريد أن نكون نحن بذاتيتنا الخاصة التي صنعها الإسلام وجعلها ميزة لنا لتكون وسيلتنا إلى حمل الأمانة إلى البشرية كلها، ومن هنا فإننا يجب أن لا ننصهر ولا نحتوي ولا تحاصرنا الحضارة الغربية المنهارة التي تمر بأسوأ مراحلها، ولأننا الدم الجديد الذي سيبعث في البشرية ضياء العدل والحق والرحمة.

إن دعوتنا إلى المنابع والتماسنا الرشد الفكري ليس معناها الجمود ولا التخلف ولكن معناها التماس الترابط الحقيقي بين الماضي والحاضر والمستقبل.

إن الأمم يجمعها العلم والمعرفة ويفرقها أسلوب الحياة الذي يقوم على الثقافة والعقيدة، وما بين المسلمين لقاء واسع في الملامح الأساسية والعامة وخلافات قليلة ترجع إلى البيئة والجغرافيا وهي ليست من علامات التفرق والاختلاف.

إن أبرز مفاهيم الصحوة الإسلامية العائدة إلى منهج الله هو فشل النظريات والمذاهب والأيدلوجيات التي عرفها العالم الإسلامي خلال قرن ونصف فلم تحقق له إلا مزيداً من التخلف والضعف والتفلل.

لقد وضح الآن أن دعوة التغريب قد فشلت وانكشف أنها خدعة ومؤامرة

من الذين رسموها في الغرب ومن الذين نفذوها من أتباعهم في بلادنا.

فإن الإسلام بمنهجه في (تحقيق النصر والخروج من الهزيمة والأزمة) هو وحده القادر على وضع المسلمين على الطريق الصحيح اليوم كما وضعهم من قبل في مثيلات هذه الأزمات.

أما اعتماد منهج الغرب في الحساب المادي والتحلل الخلقي والإيمان بالاندفاع وراء الاستهلاك والانصراف عن بناء الشخصية الفردية المسلمة القادرة على الوقوف في وجه الخطر، المؤمنة بعظمة هذا الدين وقدرته على العطاء على مستوى البشرية كلها، فهذا هو الخطر الذي يجب التخلص منه للعودة إلى بعث الإيمان في النفس المسلمة وخلق روح الثقة بالله، وتصحيح سلم القيم؛ ذلك أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. وإذا كان الاستشراق قد سقط، واختفى وراء بديله من قوم يتسمون بأسمائنا .. فإن هؤلاء يجب أن تكشف خبيئتهم حتى لا يثق بهم أحد.

* * *

٣٨ - مؤامرات يجب أن تكشف
(٢)

سلط النفوذ الغربي على المسلمين كل ما يحول دون عودتهم إلى وحدتهم، وقوتهم، وإقامة مجتمعهم، وامتلاك إرادتهم، والمخطط واسع وعريض:

أولاً: إثارة الحرب النفسية على المسلمين لخلق روح انهزامية تتنكر لقيم الإسلام وتاريخه وتراثه، هذه الحرب يجب كشف أهداف أعداء الإسلام فيها وخططهاودخائلها.

ثانياً: عرف النفوذ الأجنبي أن الأفكار العظيمة المرتبطة بعقيدة راسخة هي وحدها التي حققت للعرب والمسلمين منجزاتهم الكثيرة على فترات التاريخ وأن عقيدة التوحيد جمعت ما تفرق من الأمة ووضحت ما غمض ولذلك كان حرباً على هذه الوحدة.

وكان من ذلك غرس بذور الإقليمية والقومية والخلافات القبلية والعنصرية حتى لا يلتقي المسلمون على وحدة فكر.

ثالثاً: سلط عليهم النفوذ الأجنبي المحرمات كالخمور والمخدرات، يقول هنري دي كاستري: أن أحدٌ سلاح يستأصل به المسلمون وأخطر سيف يقتلون به هو الخمر، وقد جرد الغرب هذا السلاح على أهل الجزائر فأبوا أن يتجرعوه، فتحاشت نسلهم ولو قبلوه لأصبحوا أذلاء كتلك القبيلة التي شربت خمرة وتحملت إذلالنا .. إن انفراد الإسلام بتحريم الخمور هي فرية لا تجدها في كتب الديانات الأخرى، بل ربما تجد في بعضها تشجيعاً على الخمر كقول القديس بولس لتلميذ له: خذ قليلاً من الخمر لإصلاح معدتك، أما المسلمون فإنهم ما كادوا يسمعون تحريم الله (تبارك وتعالى) للخمر حتى أريقت أدنانها وأكوابها فسالت بها الطرقات أنهاراً ..

ونضيف إلى هذا بربرية غزو الفرنجة الصليبيين للقدس والإبادة الجماعية للأفارقة.

رابعاً: إنكار فضل المسلمين على الحضارة البشرية عن طريق مؤامرة الصمت وسرقة التراث من بلاد المسلمين ونهب نظريات الفكر الإسلامي وضمها إلى الفكر الغربي وعدم الإشارة إليها وتزييف تراث المسلمين عن طريق الحقد والتعصب.

خامساً: الاستعلاء بالعنصر الأبيض ورفض الغرب مزاحمة الإسلام لهم وهم الذين قالوا: إن على المسلمين أن ينتهوا من أوروبا بالهجرة أو التنكيل من ناحية الأندلس ومن ناحية البلقان.

سادساً: بث السموم والزيوف والأسواء التي احتواها الفكر الغربي في أفق المسلمين لبلبة تفكيرهم وإحياء التراث الوثني والغنوصي والباطني القديم لتحريف مفهوم الإسلام عندهم.

سابعاً: تزييف عمليات كثيرة في التاريخ منها حركة الكشوف الجغرافية، فقد تبين أن هذه الحركة لم تكن سوى مظاهرة تبشيرية تنصيرية كبرى تهدف إلى مطاردة المسلمين ومحاولة حصارهم للقضاء على الإسلام نفسه: يقول المؤرخ البرتغالي: فاسكوبو كارافللو: إن الواجب يحتم على النصارى ألا يتركوا المسلمين الأندلسيين ينعمون بالمقام في الشمال الأفريقي وعليهم أن يتعقبوهم حيث وصلوا.

وهذا يكشف بأكثر من دليل روح الخصومة والكراهية والحقد المبثوثة في نفوس النصارى ضد الإسلام، وهي التي دفعتهم إلى إطفاء جذوة الإسلام في صدور بعض المسلمين بتفريغهم من الغيرة على بلادهم ومن الجهاد ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن الحفاظ على ذاتيتهم الخاصة وانهيارهم وتراخيهم حتى يجري احتواؤهم وصهرهم في بوتقة الأممية وبذلك يفقدون وجودهم الحقيقي وذاتيتهم الإسلامية وتميزهم القرآني ..

٣٩- القرآن فوق النصوص

إن الدعوة التي تشيع اليوم بما يسمى التوفيق بين النصوص التوراتية والإنجيلية من ناحية وبين القرآن الكريم من ناحية أخرى هي دعوى باطلة وزائفة ويروج لها يهود تحت اسم جديد، بعد أن تعددت المحاولات منذ أيام الشيخ/ محمد عبده لاحتواء المسلمين، واليوم تروج دعوى ما يسمى «أبناء إبراهيم» في محاولة لخداع المسلمين عن الدور الذي لعبه رؤساء الأديان في تحريف السلسلة المتصلة بين الحنيفية الإبراهيمية وبين الدين الذي نزل على موسى عليه السلام والدين الذي نزل على عيسى عليه السلام بوصفهما حلقتين في سلسلة تنتهي بالدين الخاتم والنبي الخاتم.

ولقد ظهرت كتابات كثيرة في الغرب اليوم تحت اسم «الأريوسية» بالعودة إلى مفهوم الراهب أريوس الذي عارض فكرة ألوهية السيد المسيح في مؤتمر نيقة وبعده وما ظهر من كتابات تكشف فساد دعاوي وردت في الكتب القديمة وأهمها ما أشار إليه القرآن الكريم من إخفاء بعض ما جاء في الكتب المنزّلة فيما يتعلق بالإشارة إلى بشائر ظهور النبي الخاتم.. وما جاء فيما أخفى وأعلن ووصف القرآن ذلك بقوله ﴿ تَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ .. كذلك فقد كتب الدكتور موريس بوكاي عن تناقضات الكتب القديمة مع حقائق العلم الحديث وتجاوب القرآن مع هذه الحقائق..

لقد جاء الإسلام ليحطم العبودية: عبودية الإنسان للصنم وعبودية الإنسان للإنسان بعد أن أحلتها تفسيرات الأحبار والرهبان وبعد أن أعلن أعظم عظماء الفكر أرسطو وأفلاطون: أن الرق ضرورة وأنه قاعدة الحضارات وقالت اليهودية: ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِيِّنَ سَبِيلٌ ﴾ أما المسيحية فقد أذعنت لروما أي ترومت المسيحية ولم يتمسح الروم، فلما جاء الإسلام ألغى ملكية الجسد والروح، وفي

الربا ألغى نظام القروض ذات الأضعاف المضاعفة، وألغى ربا الفضل وربا النسيئة جميعاً، وأقام التعامل على أساس القرض الحسن وإلى ميسرة وقد عاد الربا باستعلاء أصحاب العجل الذهبي .. إذن فلابد أن يعود العالم إلى الإسلام مرة أخرى، ولابد أن تتحطم هذه القواعد المنهارة وقد استدار الزمن إلى هيئته يوم بعث محمد ﷺ .. ولابد أن تعود البشرية مرة أخرى إلى منهج الله.

إن النظرية العلمانية دخلت الفكر الإسلامي الحديث عن طريق علي عبد الرازق وطه حسين ومن قبلهما أتاتورك وسعد زغلول، لقد أراد الغرب أن يحجب القانون الإسلامي ففرض قانونه الوضعي .. وغيّر أسلوب التربية الإسلامي إلى أسلوب الغرب العلماني .. وفرض نظام المصارف الربوية، فماذا نجد الآن بعد قرن من تطبيق انون نابليون، نجد العالم الإسلامي يتراجع وتنهب ثروته ويتمزق وجوده، ولكن ذلك الضوء الساري الجديد بين اليقظة والصحوة سوف يحرر المسلمين من التبعة فيعود المسلمون إلى الأصالة وإلى المنابع وإلى الوحدة الجامعة بإذن الله ..

* * *

٤- المنهج والتطبيق

إذا كان للإسلام أن يقدم للحضارة المعاصرة براءة الإنقاذ من الفناء المحقق - الذي ترددت إليه الحضارات القديمة الوثنية جميعها (اليونانية والرومانية والفارسية والفرعونية)- فإنما يقدم لها قاعدة.

الربط بين الوسائل والغايات .. والجمع بين المنهج والتطبيق ..

فهذه هي مركب النجاة للحضارة التي استخدمت المنهج التجريبي الإسلامي ثم فصلت بين النظرية والتطبيق ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ .

إن أبرز ما يختلف فيه الإسلام عن النظرية الغربية التي تقوم عليها الحضارة المعاصرة والمجتمع المعاصر هو الفصل بين القيم: والتحرك في إطار وجهة واحدة: من الثبات المطلق في عصر أرسطو إلى التطور المطلق في عصر هيجل تجاوزاً لنظرة الإسلام الأصيلة الجامعة بين (الثوابت والمتغيرات).

فقد ربط الإسلام بين المادي والمعنوي وبين الإلهي والبشري .. وبين الدنيوي والأخروي، وبين الروح والمادة .. بينما لا يزال الفكر الغربي يرى استحالة الجمع بين العنصرين لقيامه أساساً على الانشطارية وعلى الفلسفة المادية وحدها.

والفكر الغربي يرى أن هناك استحالة في الجمع بين الفردية والجماعية وقد ظهرت كتابات علماء اللاهوت المحدثين أبحاث عن نقص فكرة (الإله المجسد) تحت عنوان: (أسطورة الإله المجسد) ..

وقال بوكاي: إن الحقائق التي جاء بها القرآن في القرن السادس الميلادي وكشف عنها العلم الحديث اليوم، هي مما كان لا يمكن لبشر أن يعلمه في ذلك التاريخ، ولذلك فإن إيراد القرآن الكريم لها يدل دلالة أكيدة على أنه من عند الله.

ولقد اختلفت النصوص التوراتية والإنجيلية عن القرآن في أمور كثيرة، بل لقد تفوق القرآن في إيراد أجزاء من سيرة النبيين موسى وعيسى ليست موجودة في كتبهما كما بشر ببشارات تتعلق بأمور كثيرة لم تحدث إلا من بعد .. ومنها انتصار الروم على الفرس ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾ وانشقاق القمر، وآيات أخرى كثيرة.

واليوم يكشف علماء الفلك أموراً أوردها القرآن، كما يكشف علماء الطب معجزات أوردها القرآن.

وغاية القول أن الله تبارك وتعالى الذي جعل الإسلام هو رسالة الأنبياء منذ نوح إلى محمد، هو الذي جعل الإسلام الرسالة الخاتمة وكتابها الكتاب الخاتم وجعله مهيمناً على الكتب السابقة جميعها وأصول هذه الكتب قد أوردها القرآن وسجلها حين أشار إلى مضامين التوراة والإنجيل والزابور وصحف إبراهيم .. فما جاء في هذه الكتب مشابهاً للقرآن فهو دليل على أن الكتب السماوية كلها من مصدر واحد هو الله تبارك وتعالى، وليس دليلاً على أن النبي قرأ هذه الكتب وأخذ منها .. ولأمر حكيم يعلمه الله بعث محمد ﷺ أمياً: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَنْ لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ .

* * *

٤١- منهج الله

إذا كان قد تبين أن هناك وحدة إنسانية جامعة للبشرية كلها فإن هذا يصح من خلال التشابه في الاستجابة لأوضاع البيئات والوراثيات والثقافة .. وتكون العقائد هي العامل الأول في تنوع الوجهة إزاء قبول بعض الأعراف أو رفضها .. وآية ذلك أن البشرية تختلف الآن باختلاف عقائدها وثقافاتها بالرغم من أن هناك عوامل أساسية تجمعها .. ولو أن البشرية أسلمت وجهها لمنهج الله لقامت الوحدة الإنسانية الحقيقية، أما اختلاف البيئات والوراثيات فإنها لا تمثل إلا شطراً صغيراً لا يحول دون وحدة الفكر والعقيدة والثقافة، ويجعل من التنوع مصدراً للاختلاف في الفروع.

ومن هنا فإن القول بأن التنوع أو الاختلاف في البيئة أو الوراثة من شأنها أن تخلق حواجز دون الوحدة الجامعة في المساحات الواسعة من الثقافة والعقيدة والأخلاق، فإن هذا قول مردود بواقع المجتمعات الإسلامية نفسها وبوقائع التاريخ .. فليس هناك ما يدعيه المستشرقون من أن هناك إسلام عربي، وإسلام تركي وإسلام فارسي، وإنما هو إسلام واحد، لأن مساحة الالتقاء بين المسلمين جميعاً واسعة كبيرة أما مساحة الاختلاف بحكم الجغرافيا أو الوراثة فهي ضئيلة جداً.

لقد صنع الإسلام وحدة المعتنقين له، فجعل ذلك ممثلاً في وحدة العقيدة.

فالفردية هي أبرز سمات الأيدلوجية الليبرالية، بينما الجماعية هي سمة الأيدلوجية الماركسية، أما الإسلام فإنه يجمع بينهما ويجعل الفرد للمجتمع والمجتمع للفرد، ويدعو المسلم إلى الترقي من الفردية إلى الغيرية.

كذلك فإن الإسلام يدعو إلى التغير في إطار الثبات، والتنوع في إطار الوحدة وهو ما يعجز عنه الفكر الغربي تماماً.

وفي الإسلام لا تناقض بين المثل الأعلى والواقع العملي للناس .. كذلك فالإسلام يجمع بين العقيدة والأخلاق ويرى الأخلاق من القيم الثوابت التي لا تتغير بتغير المجتمعات، وإنما الذي يتغير هو (التقاليد والعادات) التي هي من صنع المجتمع أما الأخلاق فإنها من قيم العقيدة الأساسية الثابتة.

كذلك فإن الإسلام يفرق بين (المعرفة) والثقافة، فالمعرفة عامة للبشرية كلها، أما الثقافة فهي خاصة بكل أمة، ومن هنا فإن الأمة تتبادل العلوم والمعارف، ولكنها لا تتبادل الثقافات التي هي في الأصل مرتبطة بالعقيدة وسلم القيم الأساسية لكل أمة.

والغرب عندما أخذ حضارة الإسلام لم يأخذ الثقافة، والمسلمون عندما ترجموا علوم اليونان تجاوزوا الفلسفات والمسرح والفنون إلا عندما انحرفت الترجمة على أيدي حنين بن إسحق وغيره.. واليابان الآن في نهضتها المعاصرة قد أخذت من الغرب العلوم والمعارف ولكنها ما تزال تحافظ على ثقافتها وقيمها وكذلك تفعل إسرائيل.

إننا نحن المسلمون لن نقبل التكنولوجيا والعلوم الحديثة إلا كمواد خام نشكلها في دائرة فكرنا ونشكلها وفق مفهوم الإسلام للحضارة الربانية.

فلماذا يُطَالَبُ المسلمون والعرب بالتنكر لتراثهم وقيمهم وتاريخهم وأسلوب عيشهم وهم يتفوقون على اليابان وإسرائيل بأنهم يمتلكون المنهج الرباني الخالد على الدهور.

* * *

٤٢- لنا منهج يختلف

تبلورت في السنوات الأخيرة خطة التغريب والغزو الفكري الجديدة في مواجهة الصحوة الإسلامية، فقد كان الغرب بشقيه أو بعناصره الثلاثة: الغربية والماركسية والصهيونية يظن أن خطة التغريب قد أحكمت حلقاتها وأنها سيطرت سيطرة تامة على الأمة الإسلامية وحاصرتها من جميع جوانبها:

تعليمية: وذلك بفرض المنهج الوافد العلماني على نظام التربية الإسلامية.

واقتصادية: وذلك بفرض النظام الربوي على نظام القرض الحسن.

وقانونية: وذلك بفرض قانون نابليون على الشريعة الإسلامية.

كما فرضت نموذجها الغربي على المجتمع في أسلوب العيش والتعامل والاستهلاك .. وقد كان الظن أن المجتمع الإسلامي قد استسلم وأنه وأد حضارة وإيمان وقيم أربعة عشر قرناً من الزمان صنع فيها الإسلام حضارة الرحمة والعدل والإخاء الإنساني وأخرج البشرية من الظلمات إلى النور.

ولكن التغريب بقواه التبشرية والاستشراقية كان واهماً حين ظن أن المسلمين قد قبلوا الذل وخضعوا للاحتواء واستسلموا للتبعية.

وأنه في خلال العقود الخمسة من القرن الرابع عشر الهجري كانت حركة اليقظة الإسلامية تكشف هذه الحقائق وتنير البصائر حول المفهوم المختلف، والمتميز، والجامع، والإنساني، والعالمي، مفهوم الإسلام الذي جاء به القرآن الكريم وبقيادة محمد ﷺ وكيف كانت البشرية اليوم أشد حاجة إليه مما كان أمرها في القرن السادس الميلادي.

وبعد هذه الجولة الضخمة التي قادها الاستشراق تحت اسم الغزو الفكري والتغريب، في محاولة لتزييف مصادر الثقافة الإسلامية وإشاعة الشكوك والشبهات

وإحياء الفرق وفرض مفهوم التفسير المادي للتاريخ وفرض التيار القومي والإقليمي وما قامت به القوى الاستشراقية بإنشاء دائرة المعارف الإسلامية وما حشدته فيها من شبهات وسموم كل هذا قد تكشف أمره اليوم تماماً، وعلم المثقفون المسلمون أن هذه مؤامرة خطيرة تريد احتواء الإسلام فتغير مفاهيمه وقيمه ومثله، لتعرض عليه منهجاً غربياً انشطارياً، يجعله إلى الأديان البشرية أقرب، ولقد تبين للمثقف المسلم العالمي أن الهدف من المؤامرة هو الاحتواء، والعمل على صهر الأمة الإسلامية التي اجتباها الله تبارك وتعالى لتحمل رسالة التوحيد إلى العالمين وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها والتي حفظ لها ذكرها، هذه الرسالة التي توجه إليها الشبهات والاتهامات بأنها لا تستطيع تقديم حلول لمشاكل العصر، ظناً منهم أن الإسلام دين بشري قابل للتطور ويجب أن يكون مستسلماً لمتغيرات العصر وقابلاً لتبرير واقع المجتمعات المضطربة في مرحلة من أشد مراحل الحضارة انهياراً وفساداً، ولو علموا أن المنهج الإسلامي الرباني قادر على الاستجابة لكل متغيرات البيئات والعصور، وفيه من المرونة ومن القدرة ومن العطاء ما يدهش له هؤلاء المغرضون الذين تحاصر فكرهم تجربة الغرب من المسيحية وهي تجربة مختلفة تماماً، إنهم يهدفون إلى نقل الإسلام من الربانية إلى البشرية، ومن النظرة الجامعة إلى الانشطارية ومن تكامل الروح والمادة إلى الفلسفات المادية الوثنية، إنهم يرون الإسلام وهو يقتحم معاقل الغرب وينفذ إلى الوجدان الأوروبي فيهزهم هزاً ويملأ قلوبهم بالهلع، حين يرونه يقتحم كل أرض وكل فكر، لأنه هو الرسالة السمحاء المحكمة القادرة على العطاء .. وليس الفكر البشري الذي يتخبط أمام المتغيرات ويعجز أمام الأحداث ويحتاج إلى الإضافة والحذف.

إن غاية ما يطمعون فيه وهو مالم يحققوه مهما فعلوا: إزالة التميز الخاص والذاتية الإسلامية، وإخراج المسلمين من منهج حياتهم .. إن نظرية تطور الدين واللغة والقانون ليست نظرية علمية ولكنها نظرية الأهواء والمطامع التي تهواها الأنفس، وإذا كان الغرب قد عرف هذه النظرية فإنه سيعجز أن يطبقها في أفق

الفكر الرسلامي، لأن الإسلام نفسه قائم على العنصرين: الروح والمادة وقائم على المنهجين: الثوابت والمتغيرات. وهو جامع بين الإلهي والبشري، وفيه ما هو ثابت قائم كالأصول العامة وما هو قادر على الاستجابة للتطور وهو ما عرف بالفروع.

لن يقبل الفكر الإسلامي نظرية الفكر الغربي في الفصل بين الدين والسياسة أو بين العلم والدين، فالدين في الإسلام ليس لاهوتاً خاصة بالعلاقة بين الله والإنسان. ولكنه يجمع العلاقتين بين الإنسان والله وبين الإنسان والمجتمع، وهو لا يخالف في القوميات ولا العنصريات ولا الإقليميات؛ لأنه يربط هذه الحلقات جميعها بإطار الإسلام منطلقة منه وعائدة إليه.. وهو الجامع بين العقلانية والوجدانية جميعاً، ومن هنا فإن صراع المذاهب الذي عرفه الفكر الغربي حين كان الدين لاهوتياً يصارع العلم أو يصارع القومية أو يصارع الروح أو يعلي من شأن الإنسان أو العقل أو المحسوس والمادة، كل هذه قضايا يقف منها الإسلام موقفاً واضحاً وهو أنه النظرة الجامعة التي لا تتصارع فيها القيم ولكن تتكامل.

* * *

٤٣- نحن أساتذة الغرب ولن نكون تلاميذه

إن التجربة التي أعطاها الحق تبارك وتعالى للحضارة الغربية قد حققت غايتها، لقد بدأ الغرب تجربته بالمنهج التجريبي الذي صنعه المسلمون والذي عبر بحر الزقاق إلى الأندلس ونما فيه وتطور من خلال جامعات أشبيلية وقرطبة ومالقة وغيرها .. ثم أخذه الغربيون بعد أن أفرغوا الأندلس من العرب والمسلمين وأغلقوا هذا الباب تماماً ثم مضت التجربة إلى غايتها من خلال إطار وثني يوناني روماني في الفلسفة، ويهودي مسيحي في اللاهوت، وقامت الحضارة الغربية على أساس الفردية فكان أن أعادت حضارة اليونان والرومان في عناصرها الثلاث الأساسية:

الأولى: الوثنية .. الثانية: الرق .. الثالثة: الربا.

كانت حضارة اليونان والرومان والفراعنة تقر عبودية البشر للبشر وعبودية البشر للأوثان وقد تجدد هذا تماماً، معارضاً مفهوم الحضارة الإسلامية التي جاءت لتقر التوحيد محل الوثنية، والإخاء البشري محل الرق، والتعامل بالرحمة والعدل محل الربا.

لقد أعادت الحضارة الغربية القيم التي دمرت الحضارات اليونانية والرومانية والفارسية والفرعونية ولكن غلفتها بقفاز من حرير.

فمازال الغرب يرى أنه الجنس الأبيض صانع الحضارة المستعلي على الأجناس .. وهذه هي نظرية (روما سادة ومن حولها عبيد).

ومازال الغرب يمعن في تعدد الآلهة وعبادة الجسد الجميل ويقيم حضارته على أساس ثورة الجنس وعلى المعدة وحيوانية الإنسان.

إن هذه الدعاوي كلها لا تزلزل قلوب المسلمين الواثقة في رسالة محمد ﷺ وفي صدق القرآن ونصه الموثق وفي أن الإسلام خاتم الأديان ورسوله خاتم المرسلين.

كل هذه المحاولات التي تدعي دعوى النبوة، أو تحاول أن تجعل من القاديانية أو البهائية ديناً بديلاً للأديان، كلها زائفة وأباطيل وشبهات، فالإسلام في مفهومه الأصيل لا يقر هذه الدعاوي التي يرددها أصحاب مذهب وحدة الوجود والحلول، أو دعاة التناسخ أو الذين يرددون كلمات الاتهام للمسلمين بأنهم يخضعون لتقاليد بالية، كل هذا مخطط معروف هو الآن مكشوف أمام شباب الإسلام لا تخفى منه خافية.

إنهم يحاولون محاربة النبوة الخاتمة، والتشكيك في الوحي وإثارة الشبهات حول صحابة رسول الله، وابتعاث كلام الباطنية والزنادقة والملاحدة والفلاسفة القدامى وكلام الفرق القديمة الذي انتهى وانهزم وقضى عليه مذهب أهل السنّة والجماعة.

وإن شبابنا المسلم يعلم أن هناك فارقاً بين المنهج وبين التطبيق فالمنهج الإسلامي رباني المصدر، عالمي النزعة، إنساني الوجهة، له طوابعه السمحة، وأطره الواسعة، وقدراته على العطاء في مختلف البيئات والعصور .. أما تاريخ الإسلام فهو تجربة بشرية فيها الخطأ والصواب وهي ليست حجة على الإسلام ولكن الإسلام هو الحجة عليها .. فإذا التزم المسلمون بمنهجهم انتصروا وعزوا وإذا خالفوه انهزموا وزلوا، فإذا عادوا عليه عاد إليهم النصر.

ونحن الآن في هذه المرحلة .. مرحلة الضعف والتخلف التي ليس لها من سبب غير سبب واحد هو مفارقة منهج الله وتجاوزه بخداع من قوى تكره الإسلام بدعوى أن المنهج الغربي الحديث هو الذي يستطيع أن يعطي المسلمين القوة لمواجهة النفوذ الوافد، وقد كذبتهم الأحداث .. فإن تجربة الولاء والتبعية لم تزد المسلمين إلا ذلاً وتفرقاً، ولقد كانت نكسة ١٩٦٧ هي نقطة النهاية فقد تبين للمسلمين أن كلا التجربتين لم تستطع أن تعطي المسلمين شيئاً وأن عليهم أن يعودوا إلى منهجهم الأصيل هذه العودة هي التي نسميها الصحوة وهي التي تجد

عداء من خصوم الإسلام ومن أتباعهم الذين يفقدهم الإسلام نفوذهم، فهي محاولة ماكرة خبيثة سوف تكتب فيها الهزيمة لأعداء الحق ..

والمسلم لا يعرف اليأس ولا القنوط، لأن دينه هو الذي فتح أمام الإنسان باب الأمل والتفاؤل والثقة بالله: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ ..

ونحن نؤمن بأن الإسلام دين الإنسانية ودين الغد، وأن الجولة له والنصر معقود بالتزام المسلمين له، والخروج من روح الاستسلام للحضارة المنهارة وللتحلل والترف وعوامل الجشع والطمع والكسب الحرام.

إن هذه المحاولات التي تجري عن طريق وسائل الترفيه والتسلية من إشاعة روح الرقص، وشعارات الفرعونية، وإعلاء شأن هانز اندرسون كزعيم للأطفال، كل هذا مرفوض، ومردود، فإن مصر لن ترجع وثنية مرة أخرى، ولن تخلع مصر ثوبها الإسلامي لتعود إلى مفاهيم لا توجد إلا على أحجار التماثيل، فالفرعونية عصر وليست فكرة.

ومهما كانت أهمية السياحة فإنها يجب أن لا تغير القيم والمفاهيم فهذه مرحلة في تاريخ مصر ليس لها ثقافة ولا لغة ولا عودة.

إن أخطر ما يواجهنا اليوم هو قبول روح الاستسلام والتبعية للفكر الغربي والحضارة الغربية وإيثار السلامة على المعاناة، والبحث عن سعادة زائفة في برامج اليوجا والرقص وننسى أن ظاهرة الجريمة والجنس البارزة في أفلام السينما والمسرحيات هي التي خلقت في وجدان الشباب إيماناً بشرعيتها وتقبلها وتقليدها، وهاهي الأحداث اليومية التي تنشرها الصحف تكشف عن انخداع عدد من فتياتنا للإغراء وسقوطهن في الأفخاخ المنصوبة، نتيجة قراءة قصص الجنس وسماع ورؤية مسلسلات ترسم بأحداثها الطريق إلى الوقوع في الخطأ، إننا في حاجة إلى توجيه لحماية هذه الأجيال وتحذيرها، إن الآباء والأمهات مسئولون

مسئولية حاسمة أمام وجهة أبنائهم وبناتهم .. وعلى الصحافة والمدرسة ووسائل الترفيه والتسلية أن تسلك نفس الطريق.

إن هذا القدر الضخم من الأفلام المطروحة أمام شبابنا في التليفزيون يومياً توحي بأشياء خطيرة أقل ما فيها أن تهدم (الذاتية الإسلامية) الخاصة لمجتمعنا بكل قيمه وعاداته، فما حاجتنا إلى أن تملأ قلوب أبنائنا إعجاباً بمجتمع غريب يحمل في حقيقة أمره وسائل الهدم لقيمنا وأخلاقنا، إن هذه الأفلام يجب أن توقف، فهي تغطي في أساسها احتقارها للشعوب واستعلاء للرجل الأبيض الأوروبي الذي أباد الهنود الحمر وأباد الرقيق الذي استقدمه الغرب من إفريقيا.

وسواء أكانت هذه الأقلام ليبرالية أو ماركسية فهي تحمل الكراهية للعرب والمسلمين والملونيين من أهل آسيا وأفريقيا وتعلي شأن الغربي فارس الحضارة وتبرر عمليات الإبادة والسيطرة على الشعوب واحتلال الأرض وفرض المبادئ بقوة السلاح.

إن الشباب المسلم المثقف يؤمن اليوم بأن التجربة الغربية كلها قد انهارت تماماً، وأن الحضارة الغربية تمر بأشد مراحلها قتامة وتمزقاً، وفي نفس الوقت يطالبنا زكي نجيب محمود، وفؤاد زكريا أن نتبعها وننصهر فيها وأن ننسى كل تراثنا وقيمنا ونتجاهل تاريخنا وعقيدتنا حتى يرضى عنا الغرب ويستريح، ويعرف أنه سيظل لعشرات السنين قادر على استنزاف ثرواتنا، وتقليل نسلنا، وهدم مقوماتنا بالاستسلام تماماً والانصهار تماماً.

ولو أن هؤلاء المفكرين عرضوا أهواءهم هذه على المنهج العلمي الذي يدعونه لوجدوه سراباً خادعاً، وزبداً رابياً، فقد أدت الحضارة الغربية دورها وأثبتت عجزها عن العطاء الصحيح للإنسان خلال خمسة قرون ودورة الحضارة لا تختلف وسنن الله في تدمير من يعجز عن اتباع منهجه لا تتوقف وشأن الحضارة الغربية وأهلها والدعاة لها هو شأن كل الخارجين على منهج الله.

أما المتمسكين بمنهج الله الصامدين، القائمين عليه، المدافعين عنه، الكاشفين لسموم أعداء الإنسانية فإنهم هم الصادعون بالحق لهم أجرهم ونورهم.

* * *

٤٤- في مواجهة المؤامرة على الصحوة الإسلامية لابد من بناء قواعد الأساس

إن المؤامرة على الصحوة الإسلامية تدخل مرحلة جديدة من مراحل الاستقطاب الواسع عن طريق التشكيك في سلامة القيم الإسلامية ومحاولة إثارة الشبهات حولها عن طريق أسماء لامعة وصحف واسعة الانتشار والمخططات كلها تركز على الشباب المسلم الذي لم تستطع المناهج الدراسية أن تقدم له الحصانة والحماية من الاستقطاب والاحتواء، فوجب عليه أن يحمي نفسه باستكمال النقص في ثقافته وتصحيح الأخطاء التي ربما يظن هو أنها مسلمات علمية أو حقائق أساسية. بينما هي لا تعدو أن تكون نظريات وفروض قدمتها العقول البشرية بكل ظروفها الخاصة والتحديات التي تواجهها والبيئات التي تعيش فيها .. ومن ثم فإنها لا يمكن أن تقبل بمثابة علوم أو حقائق علمية وليس هناك ما هو علم حقيقي غير تلك التي تقدمها المعامل والأنابيق في مجال العلم التجريبي، أما هذه الفلسفات البشرية التي تحمل طابع العلم الظاهر أو التي تقوم على ركائز من بعض النظريات العلمية فإنها إن ثبتت اليوم فلن تثبت غداً، لأن العلم دائم التغير والنظريات الفلسفية المستمدة منه في مجال الاقتصاد أو الاجتماع أو التربية أو التاريخ سرعان ما يواجهها مأزق خطير هو: «متغيرات العصر» التي تستدعي إعادة النظر في هذه المقررات بالإضافة والحذف وهو ما يواجه هذه الأيدلوجيات كل يوم.

ولقد تنبه المسلمون في السنوات الأخيرة لهذه المحاذير والأخطار وجرت محاولات كثيرة لتقديم تصور إسلامي لمفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع والتربية يكشف عن الفوارق العميقة بين الرؤية الإسلامية القائمة على القرآن الكريم والسنّة النبوية وبين رؤى غربية متضاربة قامت وتقوم على الفلسفة اليونانية والرومانية

والفكر اليهودي والمسيحي الذي نقل إلى الغرب بعيداً عن أصوله التي جاءت بها الأديان السماوية والذي تصارع مع العلوم الحديثة في معركة ضخمة طويلة، انتهت بقيام العلمانية الغربية التي أدارت ظهرها لمقررات الأديان جملة وأنشأت مناهجها الخاصة على أساس عدم الاعتراف بعالم الوحي والنبوة والغيب ومقرراته، والوقوف عند المحسوسات وحدها وإعلاء شأن العقلانية، والتنكر التام لكل ما يتصل بالوجدان والروح وعالم الغيب، بل لقد ذهبت إلى أبعد من ذلك إذ تنكرت للمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي وأقرت نظرية النسبية الأخلاقية والتطور الدائم بينما يقرر الإسلام قاعدة الثوابت والمتغيرات ويجعل الفرد مسئولاً عن عمله، وليس المجتمع.

ولقد تدارست مؤتمرات كثيرة جمعت ثلة من علماء المسلمين مفاهيم العلوم الإنسانية والاجتماعية وكشفت عن تعارضها مع مفهوم الإسلام ودعت إلى ضرورة التحرر منها بتقديم البديل، وارتفعت صيحة أسلمة العلوم والمناهج والمصطلحات باعتبارها الخطوة المقررة اليوم في عالم الإسلام بعد قرن كامل من الحوار مع المذاهب الغربية ودحض شبهاتها والكشف عن انحرافها الذاتي وعن مغايراتها للوجدان المسلم الذي ربّاه القرآن الكريم أربعة عشر قرناً على تصور رباني عميق.

إن النفوذ الأجنبي يحتشد اليوم للتآمر على الصحوة الإسلامية ويصعد من ضرباته، ويركز أسهمه المسمومة على الساحة الإسلامية دون أن يدري أن هذه السهوم سوف ترتد إلى صدره، وأن هذه الصحوة التي تنطلق متجردة من المطامع والأهواء والتي لا تبغي إلا وجه الله وحده، لن تستطيع أي قوة أن تدمرها: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ﴾.

لقد تأكد في مجال النظر إلى خطوات الصحوة وتطورها واتساع آفاقها في قارات العالم الخمس، أنها تقوم فعلاً على أسس حقيقية بناها من قبل أولئك

الأبرار الذين سبقوا على الطريق: محمد بن عبد الوهاب، وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وحسن البنا وعبد الحميد بن باديس والمودودي والندوي وغيرهم، وأنها تدخل اليوم مرحلة بناء الأسس، ويبدو ذلك جلياً واضحاً في تلك المقررات التي قام بإعدادها علماء المسلمين في مجال تقنين الشريعة الإسلامية وبناء المنهج الاقتصادي الإسلامي وفقه المرأة، وأسلمة العلوم والمناهج، والكشف عن أوكار التغريب والاستشراق والتبشير والروتاري والماسونية والبهائية والقاديانية على طول خريطة الأمة الإسلامية وعرضها امتداداً من أرخيل الملايو إلى رباط الفتح، وتصحيح دوائر المعارف وخاصة دائرة المعارف الإسلامية التي كتبها عتاة المستشرقين، وما تحمل من سموم، والعمل الدائب على استكمال ما نقص من المناهج وتصحيح ما أخطأت، ولابد من التعرف على مخططات الحوار ووحدة الأديان وادعاء النبوات والتعرف على دوافع توسع نطاق دعاة العقلانية من ناحية والباطنية من ناحية أخرى وأثر ذلك كله على سعي المسلمين إلى بناء وحدة إسلامية جامعة تكون بمثابة القلاع الحامية لدعوة التوحيد.

ولابد من التعرف على مخططات الرأسمالية العربية والصهيونية العالمية والشيوعية ومطامع كل منها في إزالة المقدسات الإسلامية والتميز الخاص بهم من أجل صهرهم في بوتقة الحضارة العالمية التي تمر بمرحلة الغروب.

إن مخططات مقاومة الصحوة الإسلامية تتكشف يوماً بعد يوم من أجل:

أولاً: الحيلولة دون وصول مفهوم الإسلام الأصيل الجامع سليماً إلى الغرب والحصول من بعض علماء المسلمين على اعترافات بأنه لا خلاف بين الإسلام وغيره من الأديان.

ثانياً: محاولة إعطاء المسلمين صورة براقة لمناهج الغرب التي تتساقط يوماً بعد يوم كأوراق الخريف وتنهزم أمام مفاهيم الإسلام (نظرية دارون، مذهب فرويد، الماركسية).

ثالثاً: التنكر للدور الذي قام به المسلمون في بناء قواعد العلم والحضارة بتقديم المنهج العلمي التجريبي ومنهج المعرفة ذي الجناحين ومنهج قيام الأمم والحضارات وسقوطها الذي قدمه القرآن الكريم وعشرات من فتاوي الفقهاء المسلمين التي حولها الغرب إلى قوانين دون أن يعترف بمصدرها.

رابعاً: قيام أعداء الإسلام بطمس التاريخ الإسلامي وتفريغه من روح الإيمان التي صنعت الفداء وغيرت وجه البشرية بتفسيره من خلال مذاهب مادية تطفئ نوره وتظهره بمظهر غير مظهره الحقيقي.

خامساً: إثارة الخلافات والشبهات حول (أصول) الشريعة الإسلامية وحول تطبيقها خلال أربعة عشر عاماً دون توقف، حتى أوقفها الاستعمار الذي فرض قوانينه الوضعية.

سادساً: محاولة القضاء على روح الفداء والبذل والاستشهاد إيماناً بأن هذه الأمة في رباط إلى يوم القيامة، وذلك بإثارة أجواء الانحلال والترف والرخاوة بين الشباب المسلم حتى لا يكون قادراً على المرابطة في وجه الأعداء والأخطار.

سابعاً: الحملة على القرآن الكريم أساساً، وإثارة الشبهات حوله، وإثارة دعاوى بشرية القرآن بين عديد من التغريبيين، وكذلك الحملة على الفصحى لغة القرآن ومحاولة خلق لغة وسطى أو إحياء العاميات في المسرحيات وأدوات الإرسال.

ثامناً: سيطرة مفاهيم ديوي على مفهوم التربية بتجريد هذه المناهج من الدين والأخلاق، والتوسع في تاريخ الأمم السابقة على الإسلام وتوسيع تاريخ أوروبا.

تاسعاً: تضييق دائرة المؤسسات العلمية الكبرى: الأزهر والزيتونة والقرويين وفرض مناهج غربية عليها في مجال القانون والأدب والتاريخ.

وقد ترددت هذه المخططات في عشرات من الوثائق الغربية الاستعمارية منذ كرومر إلى اليوم، وجرى استخدام المعاهد الاستشراقية لتكوين الكوادر والإرساليات الغربية التبشيرية التي تختفي تحت أسماء براقة لتكوين الأفراد الذين سيطروا على مقدرات الفكر والثقافة والصحافة.

إن المحاولة كلها ترمي إلى: (القضاء على الذاتية الإسلامية المتميزة) .. التي صنعها الإسلام، من أجل إدخال المسلمين في بوتقة الاحتواء والانصهار والحصار حتى لا يستطيعوا إقامة منهجهم أو بناء مجتمعهم أو تبليغ رسالتهم ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾.

إننا في حاجة إلى أن نعرف هذه الحقائق، واتجاه الريح، حتى لا تفاجئنا الأحداث ونكون قادرين على الصمود في وجه الزوابع والأعاصير التي ترمي إلى تعويق مسيرة الصحوة الإسلامية أوتعويضها أو إجهاضها.

وليس لدى المسلمين على مهمتهم التاريخية الثقيلة غير معونة الله تبارك وتعالى؛ هذه المهمة هي الثبات واليقين بأنهم على الحق، وبأن نصر الله لابد آت وقريب: ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾.

فلنكن مؤمنين بأمتنا وعقيدتنا ووطننا لا نرجو إلا الحق والخير ندعو إلى الله على هدى وبصيرة بعيداً عن التعصب أو الانحراف على طريق الله المستقيم بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ..

«يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» حديث شريف..

* * *

٤٥- قضايا عالمية ورأي الإسلام

مناهج (الفلسفة، الاجتماع، النفس، الأنثربولوجيا) هل هي علوم أم نظريات؟

(أخطار تبني الجامعات لمناهج العلوم الإنسانية الوافدة)

* * *

كان من أهم ما دار في الملتقى الإسلامي للإسلام والعلوم الإنسانية والاجتماعية في الجزائر موقف الجامعات من تبني المفهوم الوافد لهذه العلوم والأخطار التي تعود من ذلك على ثقافة الشباب المسلم وعلى حياته وعلى فكره، ومن هنا كانت الصيحة التي رددتها جنبات الملتقى من أكثر من مائة عالم وباحث من مختلف أقطار الأمة الإسلامية بالتحذير من الآثار الخطيرة التي تترتب على هذه التبعية لفكر يتعارض أساساً مع مفاهيم الإسلام والقرآن والفطرة الإنسانية.

ولقد تبين بطلان القول بوحدة الفكر الإنساني أو الثقافة العالمية؛ ذلك لأن مصدر الوحدة في الحقيقة هو العقيدة والقيم والأخلاق، ولما كانت هناك فوارق عميقة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي فإنه من غير الصحيح أن يبني المسلمون مناهجهم على أسس فكر يختلف اختلافاً واسعاً مع عقيدتهم.

ومن هنا جاءت صيحة التحرر من مفاهيم العلوم الإنسانية الوافدة بعد أن كشف الغرب نفسه عن أنها خلال تجربتها لم تحقق الهدف نظراً لقيامها على الفروض ووجهات النظر البشرية والأهواء والاعتماد على الأساطير القديمة والخرافة التي تمثل طفولة البشرية، وإذا كان هذا هو ما دفع الغرب إلى إعادة النظر في علوم الإنسانية والاجتماعية فإننا نحن المسلمون لنا ضوابط أخرى يختلف معها هذا الفكر تماماً من أهمها:

أولاً: تعارضه الواضح الصريح مع مفهوم التوحيد الخالص (النبوة والوحي).

ثانيا: مضادتها للفطرة.

ثالثاً: خطئها في تصور الإنسان والقول بأنه مادة وأنه خاضع للشهوات وغير قادر على التحرر منها.

رابعاً: إنكار الفكر الغربي للمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي والجزاء الأخروي وإقامة منهج المسئولية الجماعية: مسئولية المجتمع (وهي التي لا يقرها الإسلام).

كذلك فإن هناك فساداً في المنهج العلمي نفسه المدعي دائماً كذباً وبهتاناً أنه موضوعي وذلك لما عرف عن الفكر الغربي من فصله بين النظرية والتطبيق وبين القول والعمل، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ . ومن إخضاع العلوم الإنسانية للمناهج المادية والتجريبية فضلاً عن «الفكرة المسبقة» التي تملأ عقول الباحثين الغربيين في الدراسات الإسلامية حيث يبدأون بهدف هدام، ثم يعملون على البحث عن نصوص مقطوعة عن أصولها للاستدلال بها، مما يؤكد أن المنهج الغربي – غير الموضوعي – على الأقل في مواجهة الإسلام – يقوم على الهوى والظن.

ولقد خطت حركة اليقظة الإسلامية في خلال القرن الرابع عشر الهجري خطوات في سبيل الكشف عن فساد وجهة العلوم الاجتماعية والإنسانية الغربية وأنها ليست علماً حقيقياً وليست أصيلة وليست عالمية وليست صالحة لأمم أخرى غير أممها وبقي اليوم أن ينتقل المسلمون إلى مرحلة بناء المنهج الإسلامي في هذا المجال، كذلك فإن النظرة الانتقائية التي طرحت (من حيث الجمع بين خيوط من الفكر الإسلامي والفكر الغربي) لن تؤدي إلى شيء لاختلاف الأسس التي تمكن من ذلك خاصة مع عقائد الغربيين عن نسبية الأخلاق والجبرية الاجتماعية، ومن هنا فإننا لا نرى أن هذا الركام تحت اسم العلوم والأيدلوجيات ليس إلا نظريات وفروض فلسفية تستدعينا أساساً إلى القيام (أولاً) بتصحيح دائرة المعارف

الإسلامية (التي جمعت سموم الاستشراق) .. (ثانياً) أن لا نسمح بترجمة أي كتاب في هذا المجال ما لم يقدم له بدراسة العصر والمؤلف والعوامل التي دعت إلى كتابته، وكذلك فعل الغربيون عندما ترجموا التراث الإسلامي في أول النهضة وحين وضعوا أساساً حاسماً حين قال لهم البابا: «خذوا علوم المسلمين ولا تأخذوا دينهم».

وغير صحيح أن المسلمين قبلوا الفكر اليوناني بعد ترجمته بل الحقيقة أنهم وقفوا منه منذ اليوم الأول موقف المعارضة واعتبروا الفلاسفة أمثال الفارابي وابن سينا والكندي وابن رشد من المشائين اليونان.

وذلك لاختلاف الأرجانون اليوناني عن المنهج الإسلامي في أبرز مفاهيمه وقيمه «وهو التوحيد وتحرير الإنسان» في مواجهة علم الأصنام وعبودية الإنسان الفكرية والجسمية فقد كان الرق عند أرسطو وأفلاطون أساساً ضرورياً للمجتمعات، وكانت الديمقراطية اليونانية خاصة بالسادة الذين يجلسون في القمة والتي ترى أن العبد عبد ولو تسنم أعلى المناصب، والسيد سيد ولو استعبد، ولم يكن هذا مفهوم اليونان والرومان وحدهم، ولكنه كان مفهوم كل الحضارات التي سبقت الإسلام فارسية وهندية وفرعونية.

ومن هنا جاء الإسلام ليحطم هذه العبودية، وبمثابة بعث جديد للإنسان ومن هنا فقد كان كل ما سبقه مقدمة له، ومن هنا قال العلماء بمفهوم (الانقطاع الحضاري) بين ما قبل الإسلام وما بعده حيث أن هذه الثقافات واللغات القديمة قد ولت وانطوت وأصبحت ركام الزيف والخرافة وطفولة البشرية «وهذه التي جاء يجددها التغريبيون تحت أسماء الفلكلور أو الأنثربولوجيا».

وهكذا نجدنا في مواجهة ما يسمى علم الفلسفة أو العلوم الفلسفية التي تدرس الآن في جامعاتنا ومعاهدنا لتزيغ قلوب أبناء المسلمين بتقديم مفاهيم زائفة من الفكر الأفلاطوني والباطني والمجوسي والغنوصي يتحدث عن العقول العشرة

وعن الفيض، وكلها زيوف ما كان لها أن تشكك أبناءنا في مفهوم التوحيد الخالص، حيث تتصل بوحدة الوجود والحلول والاتحاد، وكتابات الحلاج وابن عربي من ناحية وكتابات ابن سينا والفارابي وتتصل بالقرامطة والمزدكية والمانوية ورسائل إخوان الصفا والتصوف الفارسي والفكر الباطني جملة.

وقد كان حقاً لنا أن لا نعود إلى هذا الركام بعد أن كشف المسلمون منذ القرن الرابع الهجري فساده وقد حطم الإمام الغزالي دعاوى الإباحيين والباطنيين ورد ابن تيمية على منطق أرسطو وكشف عن منهج القرآن في الحجاج والجدل، ولكنا نجد في العصر الحديث محاولة إحياء هذه النظريات وبعدأن أسقط الغربيون منهج أرسطو جاء الاستعماريون في بلاد الإسلام ليفرضوه على المسلمين، ويمنعوهم من المنهج التجريبي الذين كانوا هم صانعيه ومحاولة حشو أذهانهم بالفكر الباطني وإحياء وحدة الوجود والحلول والاتحاد والتصوف الفارسي الذي عمل فيه مستشرق وهب حياته كلها له .. فترك آثاراً تبدو اليوم خطيرة فقد أحيا أمثال روزبهان الشيرازي وغيره من الغلاة وما ينتج عن ذلك مما كتبه كوربان عن الفن والنظرة الجمالية وقد صحح علماء المسلمون الموقف من التصوف فقالوا: نحن أتباع النصوص لا أتباع الفصوص، واعترفوا بدور الصوفية في الجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام ومواقفهم الحاسمة في الحروب الصليبية وصححوا المعادلة بين المنقول والمعقول وجعلوا المعقول متفقاً مع المنقول والمنقول هنا هو الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ..

وما يدرس في جامعاتنا عن الفلسفة يضعنا ويضع فكرنا الإسلامي في موضع التبعية، والانحسار بين الفكر اليوناني والفكر الغربي المادي الحديث وهو ليس كذلك إطلاقاً أما مفهوم العلم الذي يدرسه أبناؤنا فهو العلم المفرغ من الإيمان بالله.

فكلهم ينكرون الدين فيراه ماركس انعكاساً للظروف المادية ويراه دوركايم

ظاهرة اجتماعية وأن الإنسان عندما يعبد الله فإنما يعبد المجتمع.

ومن هنا تحدث الازدواجية بين ما يقول به الإسلام والقرآن من خلق آدم وما تقوله نظرية دارون، وما من واحد من هؤلاء: دارون، فرويد، دوركايم في شتى فروع العلم الذي يدرس إلا متعارضاً مع مفاهيم الإسلام.

فضلاً عن ذلك الفصل الواضح في العلوم الغربية بين العقل والقلب وبين البعد العقلي والبعد الروحي الذي يرونه (بعد الخيال والظنون)، لأنه يدخل في نطاق المحسوس، ومن ثم فإن الوحي والنبوة من الأمور المهزوزة. ففي الغرب يقولون: اعتقد وأنت أعمى، أو أغمض عينيك واتبعني، أما في الإسلام فهناك ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾، فالعقلانية والروحية يتعانقان في الإسلام.

إن نقلنا مفاهيم الغرب في مجالات النظر الفلسفي أو العقلي أو الروحي فإننا نجد مفاهيم مختلطة، منها مفاهيم علم الأصنام اليوناني، ومفاهيم المسيحية النسطورية ومفاهيم أفلاطون ومدرسة الرها الغنوصية، فلا يمكن حين تختلط هذه المفاهيم في الإسلام على أيدي المعتزلة أو الباطنية أو دعاة الجبر أو القدر أو الإشراق أو غيرها من هذه النظريات المضطربة لا يمكن أن نجد في هذا كله ضوء من الإسلام النقي الصحيح القائم على التوحيد الخالص بل نجد مفهوماً مختلطاً ملفقاً يمكن تسميته (التجسيم) وهو الذي أطلق عليه علماء المسلمين اسم التشبيه، الذي جاء الإسلام ليحرر البشرية منه ارتفاعاً بالعقل المسلم إلى الإيمان بالقيم الروحية العليا على نحـو عالم الغيب، الذي هو من أسس الإسلام الأصيلة ﴿ آلم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ * هُدَىً لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ ..

فقد قدم لنا الإسلام تصوراً ميتافيزيقيا غيبياً كاملاً فأغنانا عن البحث عنه وأمرنا بالإيمان به، وهو ما يتصل بعالم ما وراء المادة، وهو الأمر الذي خاض فيه الفلاسفة وأثاروا الشبهات وأفسدوا عقول من آمن بهم، وضلوا وأضلوا ولم يصلوا إلى شيء، لأن الله تبارك وتعالى وحده هو الذي يعلمه، ولقد أعطى تبارك وتعالى

المسلمين هذا التصور، حتى ينصرفوا عن البحث فيه إلى البحث عن عملهم الحقيقي في الحياة وهو السعي والعمران.

الفلسفة الحديثة:

ومن هنا فإن هذا الخليط كله الذي يدرس تحت اسم علم الكلام أو الاعتزال أو الفلسفة القديمة هو أمر يجب أن تتحرر منه المناهج التعليمية والجامعية. ومن هنا فقد جاءت الفلسفة الحديثة قائمة على إنكار كل ما وراء الحس والمادة وتعددت المدارس التي تنكر الغيب والوحي والنبوة والروحيات جميعاً، حتى قالوا: إن العقل هو أسمى نتاج المادة والعالم لم يوجد إلا اتفاقاً ومصادفة وقد كان هدف هذه المدارس المادية سواء في علم الاجتماع أو النفس أو الأخلاق تقويض أركان العقيدة الدينية والاعتداد بالعقل والعلم وظهر التفسير المادي للتاريخ الذي يقوم على أساس أن نمو الحياة البشرية (فردية وجماعية) يتوقف على الظروف المادية والاقتصادية وأن الصراع بين الطبقات هو الذي يحكم سير التاريخ.

علم الاجتماع:

وبالنسبة لعلم الاجتماع فقد أخذ المسلمون منطلقهم - ليس من حيث انتهى ابن خلدون بل بما كتبه دوركايم اليهودي الذي كان يكره ابن خلدون ويحقد عليه ويصفه بأوصاف نقلها عنه طه حسين في كتابه (فلسفة ابن خلدون الاجتماعية) حيث أخذت المدرسة الاجتماعية في فرنسا تقدم تفسيراً (تلمودياً ماركسياً وفق بروتوكولات صهيون) وسار على نمطه كثير من العرب المستغربين ثم نشأت ناشئة من الأصالة تدرس علم الاجتماع على أصوله الإسلامية في مقدمتهم الأستاذ محمد المبارك والدكتور مصطفى حسنين وتوالى الباحثون.

وفي مجال علم النفس كتب الأستاذ محمد قطب وآخرون ووصل حسن الشرقاوي إلى دعامات أساسية لعلم نفس إسلامي كذلك، فقد درس شيخنا الدكتور محمد عبد الله دراز منهج الأخلاق من القرآن الكريم قارن في بحثه بين منهج الإسلام وجميع المناهج الغربية وكشف تقصيرها وفسادها.

وكل هذه حفريات يجب أن تتسع، في مجال الكشف عن الخلاف العميق بين أصول الفكر الإسلامي وأصول الفكر الغربي (المسيحي اليهودي اليوناني الروماني) ومنها علوم قامت من أجل تركيز نفوذ الاستعمار وقد استعملت نظرية دارون في هذا الصدد، كما استعملت نظرية جوبنيو في الأجناس من أجل انتقاص الأجناس الملونة وإعلاء الجنس الأبيض المستعمر وإعطائه الحق في نهب ثروات الأمم وكانت مفاهيم (الانثربولوجيا) قد نشأت بتشجيع ودعاية الاستعمار حتى يتمكن من قهر الشعوب المختلفة وامتصاص ثرواتها، وأن وظيفة انثربولوجي لا توجد إلا في البلاد الاستعمارية (على حد تعبير دكتور زيدان عبد الباقي).

وهذه المفاهيم تتنافى تماماً مع مفهوم الإسلام الجامع بين العوامل المادية والروحية فضلاً عن أن أعظم أحداث التاريخ التي غيرت المجتمعات كانت نتيجة للإيمان والعقيدة وتضحية النفس والمال في سبيل إحقاق الحق وهزيمة الباطل.

إن الحقيقة عندهم هو ما يمكن إدراكه بالحواس الخمس أما ما سوى ذلك فهو ليس بموجود أصلاً أو كالمعدوم، أما الإسلام فقد أقام قاعدة عريضة قوامها العقل والوجدان وتجربة التاريخ حيث أفضل العلم ما دخل من العقل إلى القلب وحيث الإيمان بالغيبيات والإسلام هو الذي وضع قاعدة البرهان﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ ، والنظر في السموات والأرض ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا ﴾ ، ومنها انطلق المسلمون إلى بناء المنهج العلمي التجريبي، ومنهج المعرفة ذي الجناحين ومنهج قيام الحضارة والمجتمعات وعوامل انهيارها، فالإسلام بهذا هو مصدر كل العلوم والمناهج، قائمة على التوحيد الخالص وعلى أن الله تبارك وتعالى

هو خالق كل شيء، وهو الذي يدير هذا الكون لحظة بلحظة، ومن خلال القرآن الكريم نجد المفاهيم الأصيلة الأساسية لعلوم النفس والأخلاق والاجتماع والتربية إلى جانب علوم السياسة والاقتصاد والقانون. وقد استطاع علماء المسلمين اكتشاف بعض القوانين والسنن الاجتماعية من خلال القرآن كما فعل الغزالي وابن تيمية وابن القيم وابن خلدون.

ولكننا الآن في حاجة إلى توفر أكبر على هذه الدراسات على قاعدة استضاءة العلمْ بنور الوحي والشرع، وقد أقام علماء المسلمون منذ وقت بعيد قاعدة أساسية هي أن لكل أمة شخصية تستمدها من عقيدتها وأخلاقها وأن الأمم لا تنهض إلا ببناء الإنسان وأن من يعيش عصره يجب ألا يتقطع عن ماضيه، إننا نطالب الآن بأسلمة العلوم والمناهج، وتقديم البدائل الإسلامية وتصحيح دوائر المعارف الغربية والوقوف من العلوم الإنسانية موقف الحذر، أما العلوم المادية فيجب أن ننقلها إلى دائرة الفكر الإسلامي واللغة العربية كمواد خام لنصنعها في دائرة عقيدتنا التي تختلف وجهتها عن وجهة الغرب.

وللمسلمين في العلوم التجريبية موقف أيضاً:

يقول جورج سارتون في كتابه تاريخ العلوم: إن هناك مساحة ٣٥٠ سنة متواصلة للمسلمين (من ٧٥٠ - ١١٠٠) تبرز فيها أسماء «جابر بن حيان والخوارزمي والرازي والمسعودي والبيروني وابن سينا وابن الهيثم».

ومعنى هذا تأكيد أولية المسلمين في مجال العلم التجريبي، ومن هنا فإننا أصحاب منهج أصيل يسمح لنا باستيعاب العلوم التجريبية الغربية وإعادة صياغتها في إطار مفهومنا للعلم والحضارة.

١- التماس مفهوم التوحيد الخالص.

٢- بناء المجتمع الإسلامي على شرعة الله تبارك وتعالى.

٣- تأكيد روح الالتزام الأخلاقي والمسئولية الفردية.

٤- الإيمان الصادق بمسئولية المسلم إزاء تطبيق منهج الله تبارك وتعالى.

وفي داخـل هذا الإطـار يمكـن التحدث عن سلم الأولويات في إعادة النهضة والبناء، ومن هنا لابد أن يتشكل المنهج العلمي الإسلامي بمفهوم القرآن لا بمفهوم الغرب، إن الغربيين يلوحون لنا اليوم بالدخول في باحة العلم والتكنولوجيا بقصد مدخول هو أن نذوب في الحضارة الغربية ونقبل أوضاعها السائدة اليوم بكل أخطائها وتجاوزاتها. يريدون أن نضع مقدراتنا في هذا الأتون الموقد الذي يستهلك كل شيء ويصيّره إلى رماد تحت اسم الترف والاستهلاك وتبديد الثروات الطبيعية في آفاق المتع الزائفة حيث يحصل على أضعاف مضاعفة بينما المجموعة الكبرى من البشر يعيشون عيش الكفاف ويموتون جوعاً بالملايين كل عام ..

إننا إذا قبلنا احتواء الغرب نكون قد قضينا على ذاتيتنا الخاصة وانصهرنا تماماً في البوتقة الغربية في ساعات هزيمتها وانهيارها.

إن مفهومنا الإسلامي يتعارض مع الاستهلاك والتكديس وتدمير مقومات الأمم، فنحن لا نقبل هذا الاتجاه جملة ولنا وجهة أخرى تختلف.

* * *

٤٦- نحن المسلمون .. ماذا تعطينا معركة حطين بعد ثمانية قرون ؟

إن الاحتفال بذكرى مرور ثمانية قرون على معركة حطين يعد علامة من علامات التوجه إلى الأصالة، والإيمان بقدرة هذه الأمة على استرداد حقها، وبناء متجدد للجهاد الذي هو فريضة قائمة إلى يوم القيامة وللفداء وبناء الهياكل للقيام به، وللمرابطة في الثغور وللقدرة على الردع، وإيذان بأن هذه الأمة الإسلامية لا تبيت على الضيم، وأنها قادرة على أن ترد أكاذيب المستشرقين ودعاة الهزيمة من التغريبين الذين ينكرون تلك الصفحات المشرقة من بطولة هذه الأمة في مجال المحافظة على وجودها وعلى حماية وجودها، وعلى التجمع في سبيل امتلاك إرادتها وبناء مجتمعها من جديد، وهي دليل يضيء الطريق إلى إعادة ابتعاث تلك الصفحات الكريمة التي تكشف عظمة هذه الأمة وقدرتها على تصحيح تاريخها الذي حاول أعداؤها تزييفه وتفريغه من جوهره في مواقف كثيرة حيث تداعي الأحداث اليوم إلى النظر إليها وتحليلها وإلى جوار حطين، عين جالوت، وقضية الأندلس التي يعلو فيها صوت المؤذن بالله أكبر مرة أخرى تدعونا إلى أن نتحدث عن الدور الذي قام به المسلمون في بناء العلم والنهضة وقد كان وجودهم في الأندلس مما وفر على أوروبا سبعة قرون وما يزال علينا أن نفتح ملفات الدولة العثمانية التي حفظت الأمة الإسلامية أربعة قرون من الغزو الأوروبي بعد هزيمة الحروب الصليبية، وبذلك نرد على المضللين الذين لا يحلو لهم غير مهاجمة الأتراك والمماليك وكلاهما قام بدور بارز في حماية كيان الإسلام فالمماليك هم الذين قضوا على بقايا الصليبيين والتتار وأوكار الباطنية الحشاشين وأعادوا للإسلام وحدته، والأتراك هم الذين حموا المغرب الإسلامي (تونس والجزائر والمغرب) من مؤامرات الفرنجة.

ما أحوجنا اليوم إلى تجديد صفحات تاريخنا الإسلامي الزاخر بالبطولة، هذه الصفحات المضيئة التي مازالت مطوية حيث لا تتسع لها كتب التاريخ التي تدرس في مدارسنا والتي لا تعني إلا بالتركيز على الإقليمية وتضع كلمة العروبة محل كلمة إسلام في الحضارة والأدب والفكر والثقافة، تأكيداً للمؤامرة المدبرة على فصل المسلمين في العصر الحديث (تحت الأسماء القومية) عن امتدادهم الإسلامي العريق خلال أربع عشر قرناً، في محاولة لإيجاد تاريخ إقليمي وقومي لن يستطيع أن يثبت أمام وحدة التاريخ الإسلامي الجامعة، ولن يستطيع أن يفرض وجوداً فرعونياً أو فينيقياً أو أشورياً أو بابلياً، ولن يستطيع أن يفصل بين العرب والترك والفرس والهنود والملايو مهما حاولت ذلك مؤامرات الثقافة حين حاولت أن تصنف أعلام الإسلام تحت أسماء الأمم الحديثة، فالفارابي تركي والغزالي فارسي .. مع إخفاء الحقيقة التي لا سبيل إلى تجاهلها وهي أن المنظومة الإسلامية القائمة على التوحيد والقرآن والفصحى هي التي شكلت هؤلاء الأعلام الذين وسدوا بناء الفكر الإسلامي استمداداً من الإسلام الذي قدم منهج العلوم التجريبية ومنهج المعرفة ذي الجناحين والذي أقام فريضة الجهاد لحماية الأمة الإسلامية من عدوان الغاصبين، من حيث إن أهل هذه المنطقة هم خير أجناد الأرض وإنهم في رباط إلى يوم القيامة، حماية لمنهج الله وقدرة على تبليغه للعالمين.

* * *

وقد جاءت معركة (حطين) بعد استعداد طويل من المسلمين وتلبث ودراية، فجددت خطوات المسلمين في معاركهم الفاتحة وخاصة معركة فتح دمشق وغيرها، وكان صلاح الدين هو المرحلة التالية في الجهاد للخطوات التي قطعها «نور الدين الشهيد» الذي وسد لهذه المعركة الفاصلة بإعداد المسلمين وتربيتهم تربية إسلامية على مفاهيم الإسلام الصحيحة وتحريرهم من الفكر الإسلامي المضطرب قبل الغزوة الصليبية، وكان هذا هو المنطلق الحقيقي للأرض الإسلامية ورفع راية المقاومة، حيث أقيمت مدرسة التسلح الخلقي التي تحاول أن تبني

الشباب المسلم على الإيمان العميق بالفداء في سبيل حماية وجود الأمة، وذلك عن طريق العودة إلى المنابع في بناء الثقافة الإسلامية وفهم الإسلام فهماً صحيحاً بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع وإحياء القيم الروحية والعقلية وصقلها وربطها بصبغة الجهاد في سبيل الله وبذل النفس رخيصة وبيعها لله خالصة ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ أما الخطة التالية التي رسمها نور الدين فهي تكوين جبهة قوية متحدة لمواجهة الخطر الصليبي يمكن أن يطلق عليها اسم (الجبهة الإسلامية العربية) ..

وقد مضى صلاح الدين على نفس الخطة التي رسمها نور الدين والتي استمدت قوتها ومفاهيمها من نفس المقومات التي انتصر بها رسول الله ﷺ والمسلمون على مدى تاريخ النضال وهي مفاهيم أساسية على مدى العصور وإن كانت الوسائل إليها تتغير مع تباين البيئات والعصور ..

ولقد كان الإيمان بالفداء وبنصر الله للمؤمنين أساساً من الأسس المتيقنة للمسلمين في النصر، والتي تحتاج اليوم أن نستعيدها فلا نقف عند النظرية الغربية المادية القائمة على التقديرات المادية من عتاد وأفراد، ذلك لأن الله تبارك وتعالى أعطى المسلمين هذه الخاصية: خاصية النصر بالعدد القليل مع الإيمان بالفداء وتقديم الأنفس خالصة لوجهه وحب الاستشهاد، وهي مقومات مؤكدة النتائج وقد تحققت في كثير من المعارك الحديثة (حيثما يرفع المسلمون اسم الله أكبر ويثبتون في مواجهة العدو) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً ﴾ .

ولن ينتصر المسلمون في أي معركة يخوضونها ما لم يعتمدوا على العقيدة والقوة معاً، وإن الفداء والرغبة في الاستشهاد تكافئ النقص في العدة والعدد وتزيد..

ولقد كان هذا الاتجاه في تصحيح العقيدة والتصور الإسلامي هو الأساس

والدعامة الحقيقية التي دفعت هذه الألوف إلى أن تترك بيوتها وأوطانها وأهلها لتموت في سبيل الله، ولتستنقذ الوطن وكان القائد نفسه مثلاً عالياً في الخلق والسماحة وكان موضع ثقة الملوك والأمراء جيرانه..

ولقد نجحت خطة (إعادة التسلح الخلقي) كقاعدة للمقاومة فأنشأت مئات المساجد والمراكز والزوايا التي كانت مكاناً للعبادة والاستعداد للقتال وحشد القوى، وأعاد صلاح الدين ونور الدين ذلك الدوي بالقرآن في ليالي القتال فضلاً عن حشد القادرين على رسم الخطط وتنظيم المعارك وإعداد أساليب الحصار وأدوات القتال.

وقد جدد المسلمون في عهد صلاح الدين خطة السلف الصالح الذين وصفهم رسل الروم حين قالوا: «رأينا قوماً الموت أحب إليهم من الحياة والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحد منهم في الدنيا رغبة ولا نهمة وإنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم وأميرهم كواحد منهم، فما يعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد فيهم من العبد وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف منهم أحد يغسلون أطرافهم بأيديهم ويخشعون في صلاتهم».

هذا الإعداد الذي قام به نور الدين وصلاح الدين هو الذي حقق نصر (حطين) الذي حقق دخول بيت المقدس بعد قليل.

وقد ظلت حركة المقاومة في مواجهة الصليبيين مضطربة غير حاسمة حتى استطاع نور الدين أن يعطيها مضمونها الفكري والاجتماعي حتى قيل: إن نور الدين كان يعمل من داخل البناء السياسي في عصره..

ولقد ذهب كثير من المؤرخين إلى أن النصر الذي تم على يديه لم يكن نتيجة مصادر قوة حربية أو قيادة حكيمة بقدر ما كان مصدره، ذلك الصدق الوثيق والإيمان العميق، وقد شهد له خصومه، وحتى الذين حملوا حملات ضارية على الإسلام عجزوا عن أن يتهموا صلاح الدين أو ينكروا مقوماته الإسلامية ..

يقول هاملتون جب: لم يكن صلاح الدين إدارياً بارعاً أو رجل حرب أو إدارة بقدر ما كان هو نفسه القادر على جمع العناصر والقوى التي كانت تستهدف توحيد «الإسلام» في وجه الغزاة، ثم وجهها وألهمها، ولم يستعمل في تحقيق هذا الأمر شجاعته وعزمه الذاتيتين في غالب الأحيان وإنما حقق ما حققه ضد أعدائه وضد من ينتمون إليه انتماء اسمياً على حد سواء ..

كان غاية في البساطة، فذاً في النزاهة، لم يكن يؤمن بالألاعيب والمداورات السياسية، ولا يقوم بها، وكان أعداؤه يصطدمون بصخرة مستقرة من إخلاصه لمثله العليا إخلاصاً لم يكن لأحد من الناس أو شيء من الأشياء أن يزعزعه. وهذا الأمر الذي أدهش (هاملتون جب) في شخصية صلاح الدين هو أصل بسيط من أصول الإسلام، وإنه كان يحاول أن يجد قدوته في تصرفات رسول الله ﷺ قدوة كل قائد ومجاهد ومرجع كل من يتصدى لأمور المسلمين والعرب حيث يجد لديه «المثل الأعلى الذي يصل به إلى طريق النصر».

ويؤكد هاملتون جب أن صلاح الدين لم يكن أمامه غير طريق واحد هو أن يعيد الكيان الإسلامي في دولة موحدة، لا تحت حكمه هو، وإنما بأن يعود إلى حكم الشريعة.

وهكذا تكشف الوقائع التاريخية أن النصر الذي حققه صلاح الدين في حطين ومن بعد في القدس، إنما يرجع إلى ذلك الضمان الأخلاقي والروحي العميق الذي كان عاملاً هاماً بجوار القوى العسكرية والحربية.

ويوم عرف المسلمون طريقهم المعنوي الخلقي المؤازر للدعم الحربي والعسكري فقد أدال الله لهم من عدوهم وحقق لهم النصر في حطين والقدس وعين جالوت والزلاقة وجميع معاركهم مع الغزو الزاحف عليهم من آفاق الأرض.

تلك هي عبرة الذكرى الكبرى التي يجب أن يعيها المسلمون والعرب اليوم وهم على مفترق الطرق، ومعهم قضية بيت المقدس المسلوب على نحو يشبه ما كان عليه موقف المسلمين منذ ثمانمائة عام ..

٤٧- أين موقف المسلمين من حضارة العصر؟

زيف المفاهيم التي قدمها توفيق الحكيم وزكي نجيب محمود

لأنها تتعارض مع مفهوم الإسلام

أين موقفنا من حضارة العصر؟

إن لنا حضارتنا ولنا مفاهيمنا في الحضارة التي إذا قايسنا بها حضارة العصر وجدناها تختلف اختلافاً واضحاً، فلا نحن نقبل هذه الحضارة ولا ننصهر فيها ولا نوافقها على وجهتها، ونحن في ارتباطنا بالحضارة المعاصرة لم نكن مختارين، ولكنها فرضت علينا بحكم الظروف العالمية التي جعلت منها قوة مسيطرة ومظهراً للنفوذ الأجنبي في بلادنا. ومنذ اليوم الأول لليقظة الإسلامية وقد كانت دعوتنا أن نقف من حضارات الأمم موقف القدرة على الاختيار والرفض بإرادة كاملة، ووفق قانون أساسي واضح.

فإذا كان دعاة الحضارة في هذا العصر ومنهم (توفيق الحكيم وزكي نجيب محمود) يريدون منا أن نقبل كل شيء وأن ننصهر في هذا الوجود العالمي فإننا لا نقبل بوجهة نظر هذه الحضارة وأهلها في مسائل كثيرة، وإن كان علينا أن لا نتردد في قبول الأجهزة والوسائل والأساليب الغربية لنقدم من خلالها فكرنا.

وليس هذا عيباً (فقد فعل الغرب ذلك حين أخذ علوم المسلمين في الأندلس) ونحن نؤمن بالانفتاح على الحضارات والأمم ونؤمن بأن نعيش عصرنا، ولكننا لا نقبل القيم والمفاهيم التي تتعارض مع منهجنا الإسلامي في أمر المجتمع والتعامل وحركة الحياة، وخاصة فيما يتعلق بالتعامل الاقتصادي والربا، والتزاحم على المال الحرام والتنافس على امتلاك الثروات عن طريق الوسائط المحرمة، كذلك فإن لنا في الحضارة بعامة وجهة أساسية واضحة هي أنه لا تفاضل بالثروة أو بالعنصر

أو بالجنس، فنحن نؤمن بوحدة البشرية: «كلكم لآدم وآدم من تراب، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى» وأن ثروة الأمم في الحقيقة هي للبشرية كلها وليست لدولة ما، أو لعنصر ما، ومن ثم فنحن نرفض منهج الحضارة الغربية التي تقسم العالم إلى شرق وغرب وشمال وجنوب وفقراء وأغنياء، والتي تستعلي بالجنس الأبيض على البشرية وترى من حقها السيطرة على مقدرات الأمم الملونة والفقيرة وأن تحرم الأمم النامية من حق امتلاك ثرواتها أو إقامة حضارتها خاصة بالنسبة للأمة الإسلامية (التي هي بمثابة القارة الوسطى) والتي تملك المقدرات الضخمة التي تتحكم في اقتصاد العالم فضلاً عن موقعها الجغرافي .. دون أن تستطيع استثمارها وتنميتها والتي تودع أموالها خارج بلادها فتدعم بها اقتصاد الدول الكبرى، ومنه تقرض هذه الدول البلاد الإسلامية بفوائد عالية.

فكيف نقبل أن ننصهر في هذه الحضارة وهي تسير في طريق مسدود، وتدخل مرحلة المحاق، وتختلف في الوجهة عما يقرره الإسلام بالنسبة لمنهج الحضارة، ثم كيف نقبل أن ننصهر في هذه الحضارة وهي تسير في طريق مسدود وتختلف في الوجهة عما يقرره الإسلام بالنسبة لمنهج الحضارة، ثم كيف نقبل أن ننصهر في حضارة فقدت مقومات المفهوم الصحيح للحضارة من حيث إنكارها للبعد الرباني في بنائها والبعد الأخلاقي في حركتها، حتى دخلت مرحلة الانحدار وباتت أوضاعها تنذر بالنهاية المحتومة التي وصلت إليها الحضارات الوثنية في روما وفارس. كيف يمكن أن يطلب إلينا الدكتور زكي نجيب محمود أن نقبل بهذه الحضارة في هذه المرحلة الخطيرة من الانهيار لأمة تبني وجودها على أساس الإسلام.

ومن قبل دعاها الدكتور طه حسين إلى أن تقبل الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحسن منها وما يعاب، وما أعتقد أن الأمة الإسلامية اليوم يمكن أن تقبل هذا وقد شبت عن الطوق ونمت وعرفت أبعاد المخططات التي تريد أن تحطمها وتحتويها وتصهرها في بوتقها .

ألا فليعلم هؤلاء دعاة التغريب أن اليوم غير الأمس وأن هذه الدعاوي المبطلة لم تعد مقبولة في عصر التفتح والأصالة والفهم للمؤامرات التي تريد احتواء هذه الأمة وتدميرها.

وأي خلاف بين الحضارة الغربية المعاصرة والحضارات التي هوت وانهارت، إلا في إخفاء الأنياب القاتلة في قفازات من حرير فما تزال هذه الحضارة تؤمن بعبودية الإنسان للإنسان وعبودية الإنسان لغير الله، كما كانت حضارة يونان وفارس والفراعنة، وهي المفاهيم التي جاء الإسلام ليحطمها ويذروها أدراج الرياح وما تزال فلسفات أرسطو وأفلاطون في شرعية الرقيق تتحول إلى نظريات جونيو للأجناس، وما تزال التفرقة العنصرية قائمة، في أشد بلاد العالم تمديناً وحضارة.

وكيف يقبل المسلمون أن ينصهروا في حضارة تجعلهم تابعين وغير قادرين على امتلاك إرادتهم وإبراز ذاتيتهم مهما كان حجم العطاء المادي في هذه الحضارة في مقابل ضياع القيمة الأساسية للحضارة في مفهوم الإسلام وهي العزة والسيادة بالإرادة الحرة الإنسانية والمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي.

ولا ريب أن أي دعوة إلى تلاقي أو تكامل أو حوار بين حضارتين تختلفان في الجذور، وبين حضارتين إحداهما سائدة سيادة مادية مطلقة، هي دعوة باطلة وهي على حساب الطرف الذي لم يمتلك إرادته بعد فهي ستزيده ضعفاً واحتواءً وانصهاراً حتى يفقد ذاتيته تماماً.

وأي رفعة في حضارة أثينا، أو فلورنسا أو فارس أو غيرها حيث كان السادة يجلسون على القمة يتفرجون على صراع الإنسان والثيران، ويتلذذون بالعبيد الذين يُقتلون وحيث لا يستطيع العبد أن يكون سيداً مهما أتيحت له الفرص ليجلس في صفوف السادة، وماذا في حضارة الغرب من رفعة وهي تقوم على الجنس الصارخ والخمر والإباحة والمخدرات والمارجوانا وحيث تمتلئ المستشفيات باللقطاء

والشواذ، هل هذه هي الحضارة التي يدعونا زكي نجيب محمود إلى أن نقبلها وتجعل تراثنا الإسلامي ظهيراً لها. أو هذا الفن القميء والأدب الساخر الماجن الذي يسمونه روائع الآداب العالمية ويترجمونه إلى لغتنا العربية.

ولا يبعد رأي توفيق الحكيم في شأن الحضارة عن رأي زكي نجيب محمود، فهي مدرسة واحدة هي مدرسة الغرب وإن كانت موزعة بين الوضعية المنطقية والعلمانية المسرحية .. إنه يأخذ على اليقظة الإسلامية أصالتها ورغبتها في بناء منهج أصيل لحياتنا .. وحضارتها مستمدة من قيمها الإسلامية القرآنية ويسخر منها، لأنها قد رفضت ما عاش يدعو إليه أكثر من خمسين عاماً من مفاهيم الفن والأدب والرواية والمسرح.

وتلك حقيقة واقعة يجب ألا تغضب توفيق الحكيم، لأن مفاهيمه التي استقدمها من الإغريق والغرب ومن مفاهيم الفن للفن وبيكاسو وسارتر، وما تنطوي عليه من تمزق وصراع ومن عبث وصراع، لا تمثل جوهر النفس المسلمة في حقيقتها وإنما تمثل النفس التي صاغتها قاعدة (الخطيئة) فصدرت عنها الفلسفات المادية والوجودية والهيبية مما شغلت به نفسك أكثر من خمسين عاماً ثم قلت أنت: «إنه لم يجد قبولاً وأنه كدخان في الهواء» ..

أما موقفنا من رفاعة الطهطاوي ومحمد عبده فليس على النحو الظالم الذي صورته به .. إن كل ما قلناه إن رفاعة خدع وظن أن الأوروبيين حين أخذوا من الإسلام حفظوا الأمانة فأصبح من اليسر أن نأخذ منهم بضاعتنا وكان هذا حسن ظن من الشيخ الذي لم يتعمق الأمور ولم يقرأ التاريخ حين دعا البابا طلاب العلم من الغربيين الذين وردوا جامعات المسلمين في قرطبة وبلنسية وغيرها أن يأخذوا العلم ولا يأخذوا دين المسلمين، أي: لا يأخذوا المنهج التطبيقي للعلوم التجريبية التي أنشأها المسلمون وأخذها الغرب منذ ذلك اليوم وأقام مؤامرة الصمت ولم يعلن أنه أخذ من المسلمين شيئاً، حتى جاء اليوم من يكشف أن منهج

فرنسيس بيكون مأخوذ بالنص من الرسالة للإمام الشافعي.

فلا تثريب على الشيخ رفاعة، ولكن لابد أن نقول إنه كان حسن الظن بفكر مدخول سيطرت عليه وثنية الإغريق ومادية طاليس وإباحية أفلاطون – أما الشيخ محمد عبده فإنه لم يغترب إلا حين أعلى من شأن المعقول على المنقول (الذي هو القرآن والسنّة) ولو شاء لأخذ بمفهوم ابن تيمية الذي قال: إنه لا يمكن أن يختلف صحيح المنقول مع صحيح المعقول.

ونحن نرى أن المدرسة التغريبية هي التي انفصلت عن الشيخ محمد عبده وحاربته أساساً وأخذت طريق العلمانية والتغريب على يد طه حسين ولطفي السيد وقد كانا من تلاميذه.

ويسخر توفيق الحكيم من مسألة الحفاظ على الشخصية ويصف الذين يرددونها بأنهم مراهقون، ويريد أن يحطم هذه القاعدة الأساسية في كل حضارات الأمم، وإذا غفلت الأمة عن ذاتيتها وكيانها الخاص فإنها لن تبقى وستجتاحها الأمم، بل إن أمماً كثيرة تحافظ على شخصيتها وتجددها وهي شخصية وثنية خرافية قائمة على أساطير وخرافات أو على قواعد من أديان بشرية ووثنية، وهم يحترمون هذه الأمة ولا يسألونها عن أساطيرها ولكنهم يدعوننا نحن إلى أن نتجاهل مسألة الشخصية والذاتية حتى ننصهر في أتون الأممية، وماذا يزعجهم من الذاتية الإسلامية إلا أنها تحفظ وجود الأمة، وهي محافظة لا تحول أبداً دون التقدم أو الانفتاح على العالم أو قبول معطيات التكنولوجيا والعلم، بل لعلها تعطي قوة الإيمان بالله الذي يجعل للعلم وللحضارة طريقاً أشد سلامة وقوة وعطاء من طريق الغرب المليء بالثغرات والأزمات تلقاء تجاهل الأساس الحقيقي الذي يؤمن بالبعد الرباني الإلهي الذي تنطلق منه الأمم إلى غاياتها وتلتمسه في حركة نموها وعمرانها.

إنها محاولة لتحقيق هدف مبيت في هذه النفوس لم يكشف عنه هو أن تفقد

هذه الأمة ذاتيتها ووجودها ولا تلتمس حضارتها ولا قيمها من مصادرها التي جاء بها الإسلام (القرآن الكريم والسنّة) ولكنهم لا يستطيعون أن يكشفوا عن هذه الوجهة بل يدورون حولها؛ لأنهم يعرفون أن الأمة إذا تأكد لها ذلك فقد سقطوا سقوطاً نهائياً ..

إن مقدرات الأمم في الإسلام لا تدمّر من أجل الأهواء والشهوات ولا توقف على الجنس الأبيض المتسلط، ولكنها تمثل عدالة الله ورحمته بالبشرية كلها، إننا لا نقبل أن نندفعْ في هذا التيار المتعارض مع الأمانة التي وكلها الله تبارك وتعالى إلى الإنسان، من أجل إسعاد البشرية كلها وليس صنفاً واحداً منها.

ومن هنا فلابد من أسلمة مناهج العلوم الطبيعية والتجريبية أيضاً (وليس مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية فحسب) وإدخالها في إطار اللغة العربية ومفهوم الإسلام أساساً من أجل إعادة بناء الحضارة الإسلامية بعد أن انهارت مفاهيم الحضارة الغربية ووصلت إلى هذا الحد من الدمار.

إن الغرب لا يريد أن يخرج المسلمون من دائرة الاحتواء المغلقة، لينصهروا في هذه الحضارة الغاربة، إن المجتمع المسلم له مفهوم مختلف عن مفهوم الغرب في كل شئون التمويل والتنمية والاستهلاك، ولابد أن تعود موارد الأمة الإسلامية المستثمرة خارج بلادها إليها.

إن على المسلمين أن لا يقيدوا أنفسهم بالمجتمعات الغربية المعاصرة، حتى يتجنبوا المأزق الذي تنحدر إليه.

إن أخطر ما ينخدع المسلمون به اليوم هو القول بوحدة الحضارة أو عالمية الثقافة وذلك لصهر المسلمين في بوتقة الحضارة الوثنية الغاربة والقضاء على ذاتيتهم وتميزهم الخاص الذي جعل لهم التوحيد به طابعاً مستقلاً ليكونوا به قادرين على تبليغ رسالة الإسلام للعالمين بعد بناء مجتمعهم الرباني واستئناف عطائهم الحضاري الأصيل ..

٤٨- أعظم مهام دعاة الأصالة وأسلمة العلوم والآداب

الكشف عن زيف المفاهيم الوافدة

إن أكبر حاجة المثقف المسلم اليوم أن يعرف أبعاد المفهوم الإسلامي في مختلف مجالات دراسته وتخصصه، سواء أكان مجاله الأدب أو العلوم الاجتماعية أو الاقتصاد أو العلوم السياسية، وذلك للكشف عن التصور الإسلامي، هذا التصور الموجود فعلاً بين أيدينا، وفي كتابات كثير من أعلامنا والذي يبرز بصورة واضحة في ميراثنا العظيم (القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهّرة) ..

ولقد كانت حركة اليقظة الإسلامية منذ أكثر من خمسين عاماً تحاول أن ترسم خيوط منهج الأدب الإسلامي وتصوره في مواجهة المفاهيم المسمومة والزائفة التي فرضها على الأدب العربي أمثال لطفي السيد وطه حسين وأمين الخولي وسلامة موسى وأغرى بها أدباء آخرون ربما كان ينقصهم أنهم بدأوا من نقطة المفاهيم الغربية المادية فعجزوا عن التعرف من التصور الإسلامي.

ولقد كانت المعارك الأدبية الكاشفة عن وجهة نظر الإسلام بمثابة «التراث» الذي يمكن أن يستخلص منه مفاهيم الأدب الإسلامي في مواجهة المفاهيم الغربية التي سيطرت على دراسات النقد والتحليل الأدبي من منطلق أن الإنسان «حيوان» معدة أو «حيوان» جنس، حتى قيل: إن الإنسان حيوان ناطق وذلك في مجال الخضوع الشديد لنظرية دارون التي تعد بمثابة القاعدة الكبرى التي نشأت في أحضانها نظرية التحليل النفسي الفرويدي والوجودية، ونظرية العلوم الاجتماعية التي حمل لوائها مع الأسف - وليس بالصدفة - مفكرون يهود ماسون، لهم أمانة ضخمة للمخطط الماسوني التلمودي الذي كشفت عنه «بروتوكولات صهيون» وهم بصدد تحويل الإنسان إلى حيوان خاضع لغريزتي

البطن والجنس على النحو الذي قدمه ماركس وفرويد ..

لقد أخذنا نحن المسلمون هذا التصور وهذبناه قليلاً ولكنه ظل قائماً في الأساس في مجال النقد الأدبي والتحليل للأعمال الأدبية كما رسمه الذين فرضوا هذا المنهج في كليات الآداب، وحجبوا المفهوم الأصيل الذي قدمه فعلاً في ذلك الوقت أمثال مصطفى صادق الرافعي وغيره.

وظل هذا السوس المادي الإباحي ينخر في الأدب العربي حتى جاء رجال آمنوا بأسلمة الأدب وكشفوا عن أخطاء المناهج الغربية على النحو الذي تراه في كتابات الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا وتلاميذه.

وكنا قد تنبهنا إلى ذلك منذ الستينيات في كتابنا (خصائص الأدب الغربي) للكشف عن وجوه الخلاف بين مفاهيم الأدبين والثقافتين وأنبأنا عن فساد نظريات النقد الأدبي الوافدة ومذاهب تاريخ الأدب وخاصة فيما يتعلق بأخلاقية الأدب وأسلوب الشك والاعتماد على المصادر الزائفة. وإقليمية الأدب وتناولنا أثر الاستشراق في الأدب العربي وأثر الترجمة وأثر الأدب الإغريقي، والأدب الشرقي القديم والمسرحية اليونانية وغيرها.

وقلنا: لماذا لا تكون لنا مدرسة خاصة ولماذا نكون تابعين لمدارس معينة في النقد الأدبي ولا تكون لنا نظريتنا الأصيلة، ومدارسنا المبتكرة القائمة على أساس من قيمنا. ولماذا نأقلم نحن نظريات الآخرين وهي غريبة عنا كما ترى، ولا تكون لنا مناهجنا المستمدة من أدبنا؟!

وكان هذا السؤال الموجه إلى أساتذة الأدب العربي في دار العلوم والأزهر بالذات وكليات الآداب ..

ذكرت هذا عندما سألني أخي الدكتور الكيلاني في مؤتمر الأدب الإسلامي بالرياض عن مبدأ تقنين هذه القيم حين قدم الأستاذ حسن البنا تصوراً لأستاذ الأدب العربي ليعرض عليه الدكتور طه حسين الذي تصدر في كلية الآداب ليقدم

مفهوم غربي أخذه من تين وبرونتير وسانت بيف وكيف أنها مفاهيم وافدة لا تمثل تصورنا لمهمة الأديب ولا مسئوليته؟!..

وهكذا نرى أن مهمة إعادة الأدب الإسلامي ليس بتقديم النماذج الإسلامية فحسب وإنما تقديم التصور الإسلامي بالكشف عن زيف التصور القائم في الجامعات والمعاهد اليوم وأخطر ما يواجهنا الآن: هو أدب العبث الذي تقدمه نظرية الوجودية، ونظرية الحداثة التي تجد لها تجمعات كارهة للإسلام والفصحى والقرآن، وتهدف أساساً إلى قطع الحاضر عن الماضي وتشويه البيان العربي على نحو ماكر خبيث.

وهانحن نجد أولياء التغريب والغزو الثقافي يشنون الغارات على الأصالة والبلاغة العربية وعلى كل شيء موروث من دين ولغة وتراث في أسلوب رديء يساندهم دعاة الفلسفة والفكر المادي الذين ينبثون في كل مكان لانتقاص القيم الإسلامية الأساسية، ومنهم من يعيد عرض الكتب المرفوضة التي فتحت أبواب الشك الفلسفي والعلمانية والطعن في المقدسات تحت أسماء لا تخفى على أحد كالشعر الجاهلي والإسلام وأصول الحكم.

إن الشباب المسلم يريد أن يفهم حقيقة العلاقة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي، والفوارق العميقة بينهما ولما كان الأدب قطاعاً من الفكر، فقد كان ضرورياً أن تكشف له وجوه الخلاف بين مذاهب الرومانتيكية والكلاسيكية والواقعية والسريالية وبين مفاهيم الأدب العربي الذي أنشأه القرآن الكريم والسنّة في أمة البيان الذي هو أعلى ذروة في فنونها بعيداً عن التجسيم والتجسيد، وبعيداً عن المحاكاة. وتقليد الطبيعة ودعوى التفوق على الطبيعة، ومن خلال أخلاقيات النفس المسلمة بعيداً عن الوثنيات والإباحيات والكشف والعرى والتوسع في تصوير ضعف النفس البشرية، وإثارة نار الشهوات، فالإسلام يدعو إلى تبريد العواطف، ويحل مشاكل العاطفة والوجدان عن طريق الزواج وينكر تلك الصور

المزرية التي توصف بالحب حيث أصبحت كلمة حب تساوي كلمة جنس، وقد تحطمت كل قيم العفاف والشرف والبكارة فيها ..

إنهم يتحدثون عن قاعدة من التراث وبناء عصري: هذه مجمل نظرية فلان وفلان، وهي نظرية ضالة. فكيف يمكن للتراث الرباني القرآني الإسلامي القائم على التوحيد الالتزام الإخلاقي والمسئولية الفردية أن يقبل بناء عصرياً على النحو الذي يقدمونه في الوجودية والهيبية وزواج الرجال بالرجال وصديق العائلة وما يتصل به من خمر وعبث وتدمير لبكارة الفتاة قبل العاشرة، والسفاح الذي يملأ المستفشيات وحبوب منع الحمل التي تحول دون كشف العمل الفاضح بالإضافة إلى قانون لا يعاقب من ترضى أن تُسلم عرضها، وقد انتقلت رياح السموم هذه إلى مجتمعاتنا مع الأسف الشديد فكيف يمكن أن يكون البناء من هذه اللبنات المظلمة العفنة فوق قاعدة من قيم تقوم على النور الكاشف الذي يوجه الطريق إلى السماء ورحمة الله.

إن الدعاة إلى هذا التركيب المضلل يغفلون عن حقيقة أساسية هي أن القرآن والسنّة قد قدما منهجاً جامعاً ورفيعاً من القيم والنظم لبناء حياة اجتماعية عالية الذرا في الرحمة والإخاء والسماحة وتجاوز الأنانية إلى الغيرية، بحيث لا يحتاج المسلم في هذا العصر من الغرب سوى علومه التجريبية والطبيعية والرياضية بحيث يأخذها كمواد خام يصوغها في دائرة مفهومه القائم على التوحيد والإيمان بالله خالق الكون والذي يبدأ منه الأمر وإليه يعود.

هذه الركيزة من البعد الرباني للمجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية تحول تماماً دون تحقيق تلك الأطروحة الضالة التي يقدمها أمثال زكي نجيب محمود وغيره في محاولة لخداع هذه الأمة عن أصولها وقيمها وإغراء لها بقبول حضارة في طريق الغروب بعد أن دمرها الفساد والتحلل ودمرتها الإباحية وكيف يمكن أن يقبل المسلمون حضارة الغرب (وهي أسلوب معيشته الاجتماعي)

المستمد من عقيدته وقيمه وتقاليده وقد رفض الغربيون في أول النهضة قبول دين الإسلام، ومن يرجع إلى وثيقة وفد علماء طولوز جنوب فرنسا التي ترجمها الدكتور مختار العباري والتي تتعلق بزيارتهم لقرطبة وقد حملهم كبير أساقفة طولوز رسالة يدعو فيها حكام المسلمين بدخول المسيحيين .. وفيها يعترف هذا الوفد بتقدم هائل للمسلمين وتفوق مذهل في مختلف النواحي العقلية، وكذلك تفوق عقيدتهم الدينية على المسيحية؛ الأمر الذي اضطرهم إلى الهرب ليلاً من قرطبة خوفاً على عقيدتهم الدينية من تأثير عقيدة التوحيد وقد أخذ كبير الأساقفة العهد (بأن يأخذوا علوم المسلمين ولا يأخذون عقيدتهم).

أليس من حقنا أن نحذر حذرهم، وهلا يرى الدكتور زكي نجيب محمود وغيره أن ذلك أمراً ليس هاماً وعلى المسلمين أن يضحوا بعقيدتهم الإسلامية في سبيل الحصول من الغرب على كلمات صماء فارغة تافهة أمثال التقدم، والمعاصرة، والحداثة .. على النحو الذي يكشف لنا عنه أدونيس وغيره من ذوي الضلال..

الحقيقة أن أبناءنا شباب الإسلام المثقف في حاجة إلى حصانة شديدة تجعلهم يهربون ليلاً من هذه المواقع خوفاً على دينهم وعقيدتهم كما هرب وفد علماء طولوز من قرطبة ..

* * *

٤٩- على الأمة الإسلامية أن تلتمس كنزها الرباني ولا تتسول فتات موائد الغرب

هل يعد الحفاظ على الذاتية وحمايتها عيباً يوجه إلى حركة اليقظة الإسلامية بالرغم من تفتحها إزاء الفكر العالمي والإنساني وقيامها أساساً على مفهوم التقدم والتحديث المتحرر من التبعية والانصهار في الأممية، إن مطالبة بعض الكتاب للمسلمين بأن يرفعوا هذا التحفظ وأن يقبلوا من الغرب كل شيء هو أمر لا يقول به عاقل أو محب لأمته أو أمين على كيانها الحقيقي..

إننا نجد بعض الكتّاب يأخذون حماية الكيان والذاتية المتميزة للأمة عيباً ويودون لو فتحت الأبواب على مصاريعها ليدخل كل فكر وكل نظرية حتى تضيع هوية الأمة الخاصة التي حفظتها أربعة عشر قرناً فإذا تحدث متحدث عن التراث أو عن الأصالة أو عن حماية اللغة العربية أو عن خطأ الدعوة إلى تطوير الإسلام أو إلى التفرقة في الفهم بين كثير من المصطلحات ذات الاسم الواحد والتصور المختلف غضب هؤلاء ورموا القائلين بالرجعية والتخلف وعبارات أخرى كثيرة من بينها السلفية والجمود، وكأننا مطالبون تحت مفهوم الدولة العصرية أن لا نبقي على شيء من ماضينا أو كياننا ودون تقدير لمدى الفوارق العميقة بين الغرب وله كيانه وعقيدته وآدابه وبين عالم الإسلام بميراثه القرآني والنبوي وتراثه وقيمه ومفاهيمه التي تختلف اختلافاً واسعاً، ويغفل هؤلاء أن الأمم لا يمكن أن تمتزج أو تنصهر - وخاصة الأمم ذات المنهج الأصيل - ولكن الأمم تتعاون وتتبادل الخبرات - لا المناهج - وتأخذ ما يصلح لها وترفض ما يتعارض مع قيمها ومفاهيمها.

وأقرب تجربة إلينا هي تجربة الغرب نفسه حين اتصل بالحضارة الإسلامية في الأندلس فأخذ العلوم ولم يأخذ أسلوب العيش ولا مناهج الفكر والعقيدة، لأن له

مناهجه الموروثة عن الحضارتين اليونانية والرومانية، وقد أفرغ ما أخذ من المسلمين في بوتقته وصبهرها، فكيف يساق المسلمون إلى تبعية كاملة لحضارة تختلف وفي مرحلة المحاق والانهيار، وكيف يقول فلان: لابد من أخذ الحضارة بفكرها، ويقول آخر: نجمع بين التراث الإسلامي والمعاصرة .. إن هذا الكلام أشبه بلعب الأطفال المصنوعة من الورق المقوي المدهونة بالألوان البراقة، ولكن عندما تضع يدك عليها تجدها قد تفككت.

إن أمة لها أصالة الأمة الإسلامية لا يمكن أن تخدع ولا يمكن أن يفرض عليها منهج غير منهجها - حتى في أشد أوقات محنتها وضعفها إبان احتلال الاستعمار لبلادها فكيف الآن وهي تمتلك التفوق البشري والطاقة والإرادة القادرة على اختيار أسلوب الحياة، وكيف وهي قد جربت عشرات السنين أيدلوجيات الغرب التي لم تحقق لها إلا الفشل والهزيمة والنكبة والنكسة فكان عليها أن تعود مرة أخرى إلى المنابع؛ إلى المصادر الحقيقية لها فهي وحدها القادرة على العطاء والقادرة على تمكينها من بناء مجتمعها.

إن هناك اتهامات كثيرة توجه إلى اليقظة الإسلامية أخطرها أنها تريد أن تعيد حياة السلف الصالح وتجارب المسلمين الأولين وعلماء المسلمين وخبرائهم في علوم الاجتماع والنفس والأخلاق والتربية يعرفون أن التاريخ لا يعود القهقري، وأن المناهج الإسلامية مرنة قادرة على التشكل والاستجابة لكل عصر ولكل بيئة دون أن تضاد التقدم أو التحديث أو العصرية وأنها تواجه تطورات الأمم بمنهج جامع بين الثوابت والمتغيرات، فتصل فيما بين العبادات والمعاملات.

فقدرة الإسلام على الجمع بين القيم والموازنة بينها والموائمة، بين أوضاعها شيء عرفه العلماء المسلمون دوماً، نتيجة تكامل الإسلام نفسه ومن خلال نظرته الجامعة التي تختلف مع مفاهيم الغرب التي تقوم على الانشطارية والتي تقف منزعجة إزاء ترابط العقل والقلب، أو الروح والمادة، أو الإلهي والبشري؛ لأنها قامت

على الفصل التام بين القيم وعجزت عن التكامل.

فالمسلمون يلتمسون منهج العلم والتقنية في أحدث مراحله ولكنهم يطبقونه فى دائرة فكرهم الذى لا يفرق بين الأجناس أو يفرق بين الألوان، أو الذي لا يستعلي بالعنصر على الآخرين، والإسلام يقيم منهج حضارته فى إطار السماحة والرحمة والإطار البشرى دون صراع الطبقات أو صراع الأجيال أو إنكار فضل الآباء والعجائز والمرضى والمسنين، ويجعل من العلاقة بين الرجل والمرأة، والأبناء والآباء علاقات سليمة كريمة ليس فيها دخل ولا خداع، لأنه يقدمها من خلال ضوابط الإسلام ونظمه التى تحكم هذه العلاقات وترسمها فى إطار كريم فتتيح لكل إنسان رغائبه فى المال والمرأة والجاه وفق قاعدة كريمة قوامها الزكاة، والعقد الشرعى، وأداء حق الفقراء والمساكين وحماية المجتمع.

فليست السلفية فى مفهوم الإسلام نكوصاً إلى الوراء ولكنها إضاءة جديدة للحياة بمفهوم التقدم (الإسلامى) الجامع بين المادة والروح.

كذلك فالإسلام يرفض العلمانية، لأنها تجعل من الدين أمراً شخصيا خاصا بين المرء وربه، ولكن الإسلام يؤمن بأن للدين جناحين: علاقة مع الله وعلاقة مع المجتمع، وكثير من القضايا المطروحة فى أفق الإسلام غريبة عنه ودخيلة عليه فإذا كانت العلمانية هى نتيجة الخلاف الذى قام فى الغرب بين العلماء والكنيسة وكان فصل الدين عن الدولة هو حاصل ذلك الخلاف فإن الأمر فى الإسلام لم يقع أساساً، وما كان العلم إلا لبنة من لبنات الإسلام فهو الذى فتح الطريق إلى النظر والتجريب ودعا إلى البرهان فنشأ العلم فى أحضان الإسلام بوصفه ديناً جامعًا.

والواقع أن هذه المرحلة التى فرض فيها على مجتمع المسلمين الانفصال عن الشريعة الإسلامية وفرضت عليه الأنظمة الغربية، والاقتصادالربوى، والقوانين الوضعية والتربية المفرغة من الدين والأخلاق لم تتجاوز مائة عام فى أربعة عشر

قرنا كان الإسلام خلالها هو منهج حياة الأمة ونور طريقها فهل إذا عاد المسلمون إلى وضعهم الأصيل بعد ان أغتربوا عنه كان ذلك أمراً غريبا، وإذا قبلوا منهجاً غريباً عنهم لم يألفوه ويختلف مع توحيدهم الخالص كان ذلك أمراً يسيراً، سبحان الله.

إن التغريب كان قد أحس بأنه استطاع أن يفرض وضعا شاذاً على المسلمين وظن أنه يمكن مع البث الدائم للدعوات الباطلة أن تقتنع بها الأجيال الجديدة ومن ثم تنطوى صفحة المفهوم الصحيح.

ولكن الأمر لم يكن كذلك فقد ظل القرآن ينادى المسلمين يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة ليدلهم على الطريق المستقيم، وليكشف لهم خطأهم فى الانحراف تحت ضغوط الانبهار بالغرب أو التبعية، وبقيت الجماعة المسلمة كلها في يقين بأنها على الحق، ولم ينحرف إلا قلة خدعوا أو آثروا مغانم الدنيا .

وتآزرت خطوات خصوم الإسلام على هدف واحد، هو أن تظل اللغة العربية الفصحى عاجزة عن التوسع، وأن تظل الشريعة الإسلامية محجوبة وراء القانون الوضعى وأن يظل الاقتصاد الربوى مسيطراً ولكن الأمة استطاعت أن تبني نفسها وتستكمل مانقص من المناهج وتصحح مسيرة المرأة والمصرف والمجتمع والأسرة.

إن الغرب يحس اليوم بالانحسار فى نفوذه فهو يقاتل فى سبيل البقاء، ولكن قوى أكبر منه تغلبه، تلك قوى التفوق البشري في عالم الإسلام وقصوره فى الغرب، مهما حاول الغرب إغراء المسلمين بالتوقف عن النسل ومهما أغرى أهله بزيادة المواليد، تلك سنّة الله الغالبة التى لا تقهر وسوف تتحطم كل المؤامرات التى ترمي إلى سيطرة جنس معين أو مذهب معين على العالم، فإن طريق المؤامرة والتحكم ومعارضة منهج الله لن تحقق سلطاناً، ولن تجد الطريق أمامها مفتوحا .

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ .

واليوم تعود شعوب الإسلام إلى منهجها الأصيل وتكشف كل يوم ثغرات الفساد فى مناهج الغرب الوافدة بل إن الأمر قد بلغ أكثر من هذا فإن الغربيين أنفسهم اكتشفوا فساد الأيدلوجيات وطالبوا منذ سنوات بنظام اقتصادى جديد، بعد أن عجز النظامان عن تحقيق الأمن وسكينة النفس لأهل الغرب وتعالت الصيحات تبحث عن البديل وتطلع كثير من أعلام الغرب إلى الإسلام بوصفه منقذاً وبوصفه المنهج الأمثل الذى يوجد فيه ماينقص الإنسان الغربى وأبرز ذلك: البعد الإلهى فى العقيدة والبعد الأخلاقي في المجتمع وتوالت الضربات القاتلة التي تواجه الحضارة الغربية والفساد الخلقي والانحراف وانهيار الأسرة، وانتشار الخمر والإباحيات، كما توالت الهزات الاقتصادية والمالية وتوالت نذر الله تبارك وتعالى بالكوارث المتوالية والعبرة لمن يعتبر.

إننا أصحاب منهج متميز، وأصحاب كتاب منير، ولها رسالة إلى العالمين وما نحن فيه من تخلف هو عرض زائل، يزول إذا استطاعت النفوس أن تتجه الوجهة الصحيحة، من رضوان الله والعمل بمنهجه، فقد عود الإسلام أهله أن يكشف لهم طريق النصر إذا التمسوه، وما استطاع المسلمون في خلال أزماتهم التي مرت بهم خلال تاريخهم الطويل أن ينتصروا بمفاهيم الغير، ولن يحققوا شيئاً إذا تركوا الكنز الذي معهم مبدداً في الثرى، وهم يلتمسون فتات موائد الغير فلا ننخدع بتلك العبارات التي يسوقها بعض الكُتّاب حين يحاولون تشكيك المسلمين في الطريق الصحيح الذي ساروا عليه.

وإذا كان أهل الإسلام قد عجزوا أو أصابهم اليأس فإن الله تبارك وتعالى قادر على أن يبتعث أجيالاً جديدة أكثر إيماناً، ومن يتطلع إلى الظواهر الجديدة التي تتجلى كل يوم يعرف أن الطريق أمام الإسلام يضيء ويتسع وفي مقدمة ذلك تجربة الإعجاز العلمي التي هزت الغرب وما يتكشف كل يوم من سعة كون الله وعظمة خلقه، وتلك القلوب التي تهوي إليه من المفكرين والعلماء، الذين يرون فيه

الحق، وكل واحد منهم بمانة، وما تصاب به الأمم الضالة من هزائم ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ وسوف يؤكد الإسلام مع الزمن أنه هو الحق المحكم القادر على العطاء على مدى الزمن دون أن يصيبه انحسار أو يحتاج إلى ما تحتاج إليه الأيدلوجيات البشرية من إضافة وحذف ..

* * *

٥٠- لنحذر دعاوى إحياء الفلسفات القديمة ولنفرق دائما بين الفلسفة والعلم التجريبي

هناك برنامج تحت عنوان (روائع التراث الإسلامي) لا يعرض إلا كتب الفلسفة المسماة بالإسلامية من كتابات ابن سينا والفارابي وابن رشد وغيرهم وقد يظن ظان أن هذا هو التراث الإسلامي وحده، أو أن هذه الكتب من التراث الإسلامي حقيقة، وقد تكون هذه محاولة بارعة ضمن محاولات كثيرة تبذل اليوم لإقناع الشباب المسلم بأن هذه الفلسفة المسماة بالإسلامية والتي كتبها هؤلاء هي من أصول الفكر الإسلامي الذي قامت عليه مفاهيمه وقواعده.

وليس الأمر صحيحاً على هذا النحو إنما هي دخائل دخلت إلى الفكر الإسلامي مع ترجمة الفلسفة اليونانية تختلف مع أسس الإسلام الكبرى وهي التوحيد والرحمة والإخاء البشري وإن المسلمين ما لبثوا أن حاربوها وواجهوها وكشفوا عن فسادها ومعارضتها لمنهج التوحيد الخالص. وإن هؤلاء الفلاسفة الذين اختاروا جانب الولاء للفكر اليوناني لم يجدوا الطريق أمامهم مفتوحاً للتوفيق بين الفلسفة والإسلام، بل وجدوا من العقبات ما حال بينهم وبين إتمام مهمتهم وخاصة في مسألة التوفيق بين وجهة أفلاطون الروحية ووجهة أرسطو المادية والتي ما يزال الفكر البشري يصطرع حولها دون أن يصل إلى ذلك التكامل الجامع الذي قدمه الإسلام بين العقل والوجدان والروح والمادة ووقع الخطأ في النقل والترجمة حتى وضعت كتابات هذا بديلاً للآخر من ناحية، وزيف التراجم من النساطرة الترجمة لخدمة دينهم ومذهبهم فحملوها ما لا تحتمل.

وفي محاولة بارعة نجد من يعتبر نفسه وكيلاً لابن سينا، والآخر وكيلاً لابن رشد ومن يتوكل عن سارتر ومن يتوكل عن أوجست كونت أبي الوضعية المنطقية ومن يعتبر شطحات الصوفية أتباع الحلول ووحدة الوجود مصدراً للوجودية.

المهم في الأمر، أننا نفرق في الدراسة هنا بين الفلسفة والعلم ولذلك فإننا نقدر في إعزاز بالغ كل ما كتبه ابن سينا والفارابي وابن رشد في مجال الطب والفقه والموسيقى واللغة، ولكنا نرفض مفاهيمهم في الفلسفة؛ لأنها مستمدة من الفكر اليوناني القائم على علم الأصنام والذي مهما جرت المحاولة لإقامة الصلة بينه وبين الفكر الإسلامي القائم على التوحيد الخالص فإن ذلك مستحيل استحالة تامة.

إنهم يستغلون لمعان هذه الأسماء لخداع المسلمين عن فكرة الأصالة الإسلامية القائمة على التوحيد الخالص وعلى مفاهيم النبوة والوحي وعلى الأرجانون الإسلامي المختلف عن الأرجانون اليوناني القائم على العبودية بينما يقوم مفهوم الإسلام على تحرير الإنسان من عبودية الإنسان وتحرر العقل الإنساني من الوثنية والتبعية لغير الله تبارك وتعالى.

ولقد رفض الإسلام مفهوم الفلسفة اليونانية الذي أسرف هؤلاء في قبوله وخاصة ما يتعلق بالعقل الفعال والعقول العشرة ونظرية الفيض وغيرها .. فهذه كلها في نظر الإسلام خرافات، وإن قبول هذه الفلسفات معناه القبول بنوع من الإلحاد أو رفض لمفهوم التوحيد الخالص المنزه لله تبارك وتعالى.

كذلك فإن النظريات التي طرحها هؤلاء الفلاسفة لم تلق قبولاً من الوجدان الإسلامي الأصيل وواجهت رفضاً شديداً، ومقاومة بالغة، لأنها كانت تعارض مفهوم الفطرة ويختلف مع طبيعة الإسلام البسيطة السمحة.

ولقد أحدثت ترجمة الفلسفات آثاراً خطيرة بعيدة المدى إذ حاولت أن تفت في النفس المسلمة المؤمنة، التي تؤمن بالمسئولية الفردية، والجزاء الأخروي والالتزام الأخلاقي فكان أن أثارت هذه الفلسفات روحاً من الاستهانة بالمسئولية وتراخياً في الخلق الإسلامي واندفاعاً وراء الشهوات تحت اسم «سقوط التكليف» فكان خطر هذه المفاهيم بعيد المدى ..

ومن هنا فقد واجهها علماء المسلمون وخاصة في القضايا الثلاث التي كشف

عن زيفها الإمام الغزالي وهي دعاوى: (١) قدم العالم .. (٢) أن الله تبارك وتعالى لا يعلم الجزئيات .. (٣) أن الله لا يبعث الأجساد ولا يحشرها .. وقد شن عليهم الإمام الغزالي حملة ضخمة أسقطت الفلسفة الإلهية الباطلة من خالق ولم تقم لها قائمة.

وإن الغزالي حين ألف تهافت الفلاسفة لم يجد من يرد عليه، حتى إذا جاء ابن رشد بعد مائة سنة وحاول أن يرد عليه كان كل شيء قد انتهى .. كذلك فقد كان من مخاطر الفلسفة دعوى تقديم العقل على النص وهي سفسطة حاولوا أن ينسبوها إلى ابن رشد، واتهموا بها الشيخ محمد عبده وما يزال يرددها اليوم من يكتبون باطلاً تحت عنوان العقلانية (الإسلامية) كذا بينما الإسلام لا يقر هذا العنوان، لأن الإسلام عقلانية ووجدانية معاً، هؤلاء الذين يهاجمون (النص) ويمضي ذلك فيقرأه القارئ المتعجل دون أن يدري أن النص هنا هو كلام الله وكلام رسوله.

كلام الله في القرآن النص الموثق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي حفظه الله إلى أن يرث الأرض ومن عليها ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وكلام الرسول المروي بالسند المؤكد فكيف يمكن أن يقال بتقديم العقل على النص؟! هذا العقل الذي نشأ في بيئة مثل البيئة التي نشأ فيها الزنادقة وأهل الفسق والفجور، والمتعلقين بأستار أصنام الحضارة الغربية والغارقين في دعاوى الباطل من أمثال فلان وفلان، كيف يمكن لهذا العقل أن يكون حكماً على (النص) وهو غارق في آثامه؟! إن العقل مرآة لبيئته، لا يستطيع أن يهدي إلا إليها، وهو كما وصفه الإمام الغزالي مصباح زيته الوحي، فكيف يمكن للعقل أن يهدي إلى مفاهيم الإسلام وهو يعيش في بيئة المادة والتجسم لا يستطيع أن يخلص منها إلى أفق رفيع. ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ

هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

ومن بعد الإمام الغزالي جاء الإمام ابن تيمية الذي رد منطق أرسطو واليونان كله وزيفه وكشف فساده وقدم منطق القرآن فلم يعد هناك ثغرة ينفذ منها دعاة علم الأصنام.

إن قصة الفلسفة اليونانية مع الفكر الإسلامي كانت نكبة النكبات وبلية البلايا وهاهم يعيدونها جذعة ليفتحوا صفحاتها مرة أخرى من أجل إثارة الشبهات في العقل الإسلامي والوجدان الإسلامي بفتح باب هذه السموم التي كفانا شرها الأئمة الشافعي والغزالي وابن تيمية وابن القيم وغيرهم، وفي مقدمتهم الإمام ابن حنبل الذي صمد للمحنة سبعة عشر عاماً حين فتحت أبوابها فتنة خلق القرآن التي جاءت من الفلسفة اليونانية من القول بخلق التوراة.

نحن لا نريد أن نظلم أحداً، فأدب الإسلام يدعونا إلى الإنصاف، فنحن لا نرفض العلماء جملة ولكن نقبل منهم ونرفض، فما كان مما قالوه نافعاً وصالحاً ولا يتعارض مع الإسلام قبلناه، وما كان مخالفاً أعرضنا عنه وكشفنا أمره، فكيف يدير الباحث في إذاعة القرآن الكريم بحثه عن ابن رشد مرة ومرة دون أن يكشف للمسلم المستمع أن ابن رشد القاضي والفقيه علامة كبير ولكن ابن رشد المشاء هو الذي ترجم أرسطو وجند آرائه وأحيا تراثه فذلك لنا منه موقف آخر فنحن نعلم أن أرسطو عارض مفهوم التوحيد حين وصف الله تبارك وتعالى بأنه المحرك الذي لا يتحرك وأنه قد خلق الكون وأدار له ظهره، وأنه لا يعلم الجزئيات وأن الله تبارك وتعالى دحض ذلك كله في القرآن الكريم فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا ﴾وقال: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا ﴾ ..

ونحن نعلم أن أرسطو حبذ الرق ودعا إليه وقال باستحالة تحرير الإنسان من العبودية، وقال: إن الحضارة لا تقوم إلا على سادة في القمة وعبيد في السفح

وبما قال به قالته أديان بعد ذلك واعتنقت رأيه وقامت عليه حضارات اليونان والرومان والفرس والهنود والفراعنة حتى جاء الإسلام فحررها منه. كل هذا كان يجب أن يقال عندما يعرض لابن رشد ..

لقد استطاع الشيخ مصطفى عبد الرازق أن يواجه الحملة التي بدأها في أول هذا القرن الكونت دي جلازرا (أول من درس الفلسفة في الجامعة المصرية) حين اتهم المسلمين بأنهم ليست له فلسفة وأن الفلسفة العربية هي فلسفة يونانية مكتوبة باللغة العربية، فجاء مصطفى عبد الرازق فكشف عن أن الفلسفة الإسلامية تبدأ بالإمام الشافعي والرسالة التي هي علم أصول الفقه. ومن ذلك اليوم سقطت الفلسفة المشائية ورجالها الذين تحولوا إلى احتضان الفلسفة المادية الغربية وتوزعوا حولها فمنهم من تولى الوضعية المنطقية ومنهم من تولى المادية التاريخية .. ومنهم من تولى الوجودية وبقي من يحمي تراث ابن سينا ويجدده، وتراث الفارابي وابن عربي وابن رشد في الأخير في محاولة للتمويه على الفكر الإسلامي الأصيل المستمد من التوحيد الخالص وفي مخاطرة لإثارة الشكوك والشبهات والسموم التي تثيرها هذه الفلسفات الضالة فنحن اليوم في حاجة إلى أن نحدد موقفنا من العلم ومن الفلسفة.

أما العلم فهو العلم التجريبي الذي يجيء من داخل المعامل والأنابيق، أما الفلسفات فهي وجهات نظر بشرية تخطئ وتصيب، وهي ردود أفعال مجتمعات بعينها، فلا تصح لأن تكون علماً عاماً ينتفع به الجميع ولكل أمة فكرها ومفاهيمها وأسلوب بحثها وثقافتها المستمدة من عقيدتها.

إن الفلسفات هي الفكر البشري القائم على أهواء النفس البشرية وعلى الظن وعلى تحقيق المطامع وعلى صراع الأمم المستعلية باللون والعنصر .. على الأمم الملونة من أجل إدامة السيطرة عليها فعلينا أن نكون حذرين في قبول ما يعرض علينا في هذا الصدد وأن نعلم أن «المنطوقة الإسلامية» الجامعة قد قدمت لنا

منهج حياة كامل جامع في كل قضايا الفكر والمجتمع والحضارة وإن حاجتنا إلى الغرب تقتصر على التقنية وأن تستفيد من التنظيمات وأن ننقل كل ذلك إلى إطار فكرنا القرآني الإسلامي لنصهره فيه ونصوغه من جديد وفق مفهوم التوحيد الخالص ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * *

* *

*

آفـاق البحـث